الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني

الأعمالُ
السياسيّة
الكامِلَة

الأعمال السياسية الكاملة

الطبعة الثانية

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩

منشورات نزار قباني
بيروت - لبنان
ص.ب ٦٢٥٠

نـزار قبــاني

الأعمال السياسيّة الكامِلَة

الجزء السّادِس

قصائد مغضوب عليها

الكتاب الرابع والعشرون

١٩٨٦

«علينا أن نَقُولَ. . .
وعليكم أن تَتَقوَّلوا. . »

الفرزدق

كيف؟

كيفَ، يا سادتي، يُغنّي المُغنّي
بعدما خيّطُوا له شَفَتيهِ؟
هل إذا ماتَ شاعرٌ عربيٌّ
يجدُ اليومَ، مَنْ يُصلّي عليهِ؟
لا يبوسُ اليَدَيْن شِعْري.. وأحرى
بالسلاطينِ.. أن يَبُوسوا يَدَيْهِ..

إلى عصفورةٍ سويسرية

أَصَديقتي : إن الكتابةَ لَعْنَةٌ
فانجي بنفسكِ من جحيم زلازِلي
فكَّرتُ أنَّ دفاتري هي ملجأي
ثم اكتشفتُ بأنَّ شِعْرِيَ قاتلي
وظننتُ أنَّ هواكِ يُنْهي غُرْبتي
فمررتِ مثلَ الماء بين أناملي

بشَّرتُ في دينِ الهوى.. لكنّهمْ
في لحظةٍ، قتلوا جميعَ بلابِلي
لا فرقَ في مُدُنِ الغُبارِ.. صديقتي
ما بينَ صورة شاعرٍ.. ومُقاوِلِ..

❋

يا ربِّ: إنَّ لكلِّ جُرْحٍ ساحلاً
وأنا جراحاتي بغير سواحِلِ..
كلُّ المنافي لا تُبدِّدُ وحْشَتي
ما دامَ منفايَ الكبيرُ.. بداخلي.

جنيف ٣٠ ـ ١ ـ ٨٦

على القائمة السوداء

في خانةِ المهْنَةِ من جَوَازي
عبارةٌ صغيرةٌ صغيرَهْ
تقولُ:
إنّي (كاتبٌ وشاعرْ).

في اللحظة الأولى، اعتقدتُ أنَّها
عبارةٌ سحريةٌ
ستفتحُ الأبوابَ في طريقي
وتجعلُ الحُرَّاسَ يسجدونَ لي
وتُسْكِرُ الضبّاطَ والعساكرْ...

❋

ثم اكتشفتُ أنها فضيحتي الكبيرَهْ
وتُهْمَتي الخطيرَهْ..
وأنَّها السيفُ الذي يطولُ رأسي
كلّما أردتُ أن أسافرْ....

٢٣/ ١/ ٨٦

البوّابة

إن رَفَعَ السلطانُ سيفَ القَهْرْ
رميتُ نفسي في دَوَاةِ الحِبرْ
أو أَمَر السيَّافَ أن يقتلَني
خرجتُ من بوَّابةٍ سِرِّيَّةٍ
تمرُّ من تحت أساسِ القَصرْ
هناكَ دوماً مَخْرَجٌ
من بطْشِ فِرْعَونٍ.. يُسمَّى الشِّعْرْ...

٢٣/ ١/ ٨٦

لماذا أكتب؟

أكْتُبُ . .
كيْ أُفَجِّرَ الأشياءَ، والكتابةُ انفجارْ
أكْتُبُ . .
كي ينتصرَ الضوءُ على العُتْمَةِ،
والقصيدةُ انتصارْ . .
أكْتُبُ . .
كي تقرأني سنابلُ القمحِ ،
وكي تقرأني الأشجارْ

أكْتُبُ . .
كي تفْهَمَني الوردةُ، والنجمةُ، والعصفورُ،
والقِطَّةُ، والأسماكُ، والأصْدَافُ، والمَحَارْ . .

*

أكْتُبُ . .
حتى أُنقذَ العالمَ من أضْرَاسِ هُولاكو.
ومن حُكْم الميليشْيَاتِ،
ومن جُنُون قائد العصابَهْ
أكتُبُ . .
حتى أُنقذَ النساءَ من أقبية الطُغَاةِ
من مدائن الأمواتِ،
من تعدّد الزوجاتِ،
من تَشَابُه الأيام،
والصقيعِ ، والرتابَهْ

أكتُبُ . .
حتى أُنقذَ الكِلْمَةَ من محاكم التفتيشِ . .
من شَمْشَمَة الكلابِ،
من مشانِقِ الرقابَهْ . .

❊

أكتُبُ . . كي أنقذَ من أُحبُّها
من مُدُنِ اللاشِعْرِ، واللاحُبِّ، والإحباطِ، والكآبَهْ
أكتبُ . . كي أجعلَها رَسُولةً
أكتبُ . . كي أجعلَها أيْقُونةً
أكتبُ . . كي أجعلَها سحابَهْ

❊

لا شيءَ يحمينا من الموتِ،
سوى المرأةِ . . والكتابَهْ . . .

التلاميذ يعتصمون في بيت
الخليل بن أحمد الفراهيدي. .

١

أرتكبُ القصيدةَ المعاصِرَهْ
أخرجُ كالعصفور من مربَّعات الذاكرَهْ
أخرجُ نحو البحرْ
أرتكبُ الخيانةَ العظمى التي
يُقالُ عنها: الشِعْرْ

أنتزِعُ الأَشكَالَ من أشكَالها
أزَعْزِعُ الأشياءَ من مكانِها
أَزْرَعُ سِكّيني بصدر العصرْ..
أُمارسُ العشْقَ على طريقتي
في الجَهْرِ، لا في السِّتْر
أَفْعَلُهُ تحت المَطَرْ
أفعله تحت الشَجَرْ
أفعلُهُ على حَجَرْ..
مُخْتَرقاً كلَّ الخطوطِ الحُمْرْ..

أرتكبُ الشِعْرَ.. ولا يهمُّني
إنْ قيلَ هذا بِدْعَةٌ
أو قيلَ هذا كُفْرْ
فلا أريدُ العَفْوَ من خليفةٍ
أو من طويل العمرْ
ولستُ أنوي..
حَذْفَ بيتٍ واحدٍ كتبتُهُ
إنْ جاءَ يومُ الحشرْ..

*

أرتكبُ القصيدةَ الكثيرةَ الخطايا
أرتكبُ القصيدةَ العظيمةَ الذُنُوبْ
أودّعُ النصَّ الذي أعرفُهُ
وأكتبُ النصَّ الذي يخترعُ الدُرُوبْ . .
وأكرهُ الشمسَ التي تطلع في موعدها
وأعشقُ الشمسَ التي تطلع دون موعدٍ
من شفة المحبوبْ . .

*

أُقلِّدُ الشعرَ الذي يكتبهُ الأطفالْ
وأرسمُ القصيدةَ ـ الأرنبَ، والقصيدةَ ـ الغَزَالْ
وأرسُمُ القصيدةَ ـ النحلةَ،
والقصيدةَ ـ البطَّةَ،
والقصيدةَ ـ الطاووسَ،
والقصيدةَ ـ السنجابَ،
والقصيدةَ الزرقاءَ كالهلالْ
وأرسمُ القصيدةَ ـ الإعصارَ،
والقصيدةَ ـ الزلزالْ،
أُحوّلُ الأرضَ إلى فراشةٍ جميلةٍ
أُحوِّل الدنيا إلى سؤالْ. . .

*

أرتكبُ القصيدةَ المغامِرَهْ
واللغةَ المغامِرَهْ
والصُوَرَ المغامِرَهْ
ألهثُ فوق الورق الأبيض كالمجنونْ
أشربُ ضوءَ القمرِ الطالعِ من حدائق العيونْ
أدخُلُ في رائحة النَعْنَاعِ ،
في كثافةِ السُمَّاقِ،
في تجمّع المياه تحت الأرضِ ،
في حرائق العقيق،
في توجُّع الليمونْ . .
أرتكبُ الموتَ على نَهْدينِ طائشَيْنِ
يجهلانِ، ما هو القانونْ؟؟

*

أرتكبُ النبيذَ..
والأريكةَ الخضراءَ..
والدشْدَاشَةَ المصريّةَ النُقُوشِ..
والقُرْطَ العراقيَّ الذي
يَسْرحُ كالغزال فوق عُنْقِكِ الطويلِ،
والخلخالَ في الساقيْنِ..
والعطرَ الخرافيَّ الذي يخترقُ الأعماق كالسكّينِ،
والخَصْرَ الذي تحسبُهُ حقيقةً
ثم إذا تمسّكتَ به،
يغيبُ كالظنونْ..

*

أصرخُ تحت المَطَرِ الأسْوَدِ في عينيكِ..
كالمجنونْ..
أرحلْ من مرافئ الشِعْر الذي كانَ
إلى مرافئ الشِعْرِ الذي يكونْ....

جنيف ٢٥/ ١/ ٨٦

تقرير سرّي جداً.. من بلاد (قَمْعِسْتَانْ)!!

١

لم يبقَ فيهمْ لا أَبُو بكرٍ.. ولا عُثْمانْ
جميعُهمْ هياكلُ عظيمةٌ في مُتْحَفِ الزَمَانْ
تساقَطَ الفُرْسانُ عن سُرُوجهمْ
وأعْلِنَتْ دُوَيْلَةُ الخِصْيَانْ
واعتُقِلَ المؤذِّنونَ في بيوتهمْ
وأُلغيَ الأَذَانْ....

جميعُهُمْ . . تضخَّمتْ أثداؤهُمْ
وأصبَحُوا نسوَانْ
جميعُهُمْ يأتيهُمُ الحيْضُ، ومشغولونَ بالحَمْل
وبالرَضَاعَهْ . .
جميعُهمْ قد ذَبَحوا خيولَهُمْ
وارتهنوا سيوفَهُمْ
وقدَّمُوا نساءَهمْ هديةً لقائد الرُومانْ
ما كان يُدعى ببلاد الشام يوماً
صار في الجُغْرَافيا . .
يُدعى (يَهُودَسْتَان) .
الله . . . يا زَمَانْ . . .

٢

لم يبقَ في دفاتر التاريخِ . .
لا سيفٌ ولا حصانْ
جميعُهُمْ قد تركوا نعالَهُمْ
وهرَّبوا أموالَهُمْ
وخلّفوا وراءهُمْ أطفالَهُمْ
وانسحبوا إلى مقاهي الموتِ والنِسْيَانْ
جميعُهُمْ تخنَّثوا . .
تكحّلوا . .
تعطّروا . .
تمايلوا أغصانَ خيزُرانْ
حتى تظنَّ خالداً . . سُوزَانْ
ومريماً . . مروانْ
الله . . يا زَمَانْ . .

٣

جميعُهمْ موتىٍ.. ولم يبقَ سوى لبنانْ
يلبس في كلِ صباحٍ كفناً
ويشعلُ الجنوبَ إصراراً وعُنْفُوانْ
جميعُهمْ قد دَخَلوا جُحورَهُمْ
واستَمْتَعوا بالمِسْكِ، والنساءِ، والرَيْحَانْ
جميعُهُمْ مُدجَّنٌ، مُروَّضٌ، مُنافقٌ، مُزْدَوجٌ. جبَانْ
ووحدَهُ لبنانْ
يصفعُ أمْرِيكا بلا هَوَادةٍ
ويُشْعِلُ المياهَ والشُطآنْ
في حين ألفُ حاكمٍ مُؤَمْرِكٍ
يأخُذُها بالصدر والأحضانْ
هل ممكنٌ أن يعقدَ الإنسانُ صلحاً دائماً مع الهَوَانْ؟
الله.. يا زمانْ..

٤

هل تعرفونَ من أنا؟
مواطنٌ يسكنُ في دولة (قَمْعستَانْ)
وهذه الدولةُ ليست نكتةً مصريةً
أو صورةً منقولةً عن كُتُب البديع والبيانْ
فأرضُ (قمعستانَ) جاء ذكرُها
في مُعْجَم البلدانْ . .
وأنَّ من أهمّ صادراتها
حقائباً جلديةً
مصنوعةً من جَسَد الإنسانْ
الله . . يا زَمَانْ . . .

٥

هل تطلبون نُبْذَةً صغيرةً عن أرض (قَمْعِستَانْ)
تلكَ التي تمتد من شمال إفريقيا . .
إلى بلاد نفْطِسْتَانْ
تلكَ التي تمتد من شواطىء القَهْر، إلى شواطىء القَتْلِ ،
إلى شواطىء السَحْلِ ، إلى شواطىء الأحزانْ . . .
وسَيْفُها يمتدُّ بين مدخل الشِرْيَانِ والشِرْيانْ
ملوكُها يُقَرْفِصُونَ فوق رَقْبة الشُعُوب بالوراثَهْ
ويفقأونَ أعينَ الأطفال بالوراثَهْ
ويكرهونَ الورقَ الأبيضَ، والمدادَ، والأقلامَ بالوراثَهْ
وأوّلُ البنود في دستورها :
يقضي بأن تُلْغَى غريزةُ الكلام في الإنسانْ
الله . . يا زمانْ . . .

٦

هل تعرفونَ من أنا؟
مواطنٌ يسكنُ في دولة (قَمْعِستَانْ)
مواطنٌ. . .
يحلُمُ في يومٍ من الأيام أن يُصبحَ في مرتبة الحَيْوَانْ
مواطنٌ يخافُ أن يجلسَ في المقهى. . لكيْ
لا تطلعَ الدولةُ من غياهب الفنجانْ
مواطنٌ يخافُ أن يقربَ من زوجتهِ
قُبَيْلَ أن تُراقبَ المباحثُ المكانْ
مواطنٌ أنا من شعب (قَمْعِستَانْ)
أخافُ أن أدخلَ أيَّ مسجدٍ
كي لا يقالَ إني رجلٌ يمارسُ الإيمانْ
كي لا يقول المخبرُ السريُّ:
إنيّ كنتُ أتلو سُورةَ الرحْمَنْ.
الله. . . يا زَمَانْ. . .

٧

هل تعرفونَ الآنَ ما دولةُ (قَمْعِسْتَانْ)؟
تلكَ التي ألَّفَهَا.. لحَّنها..
أخْرَجَهَا الشيطانْ
هل تعرفونَ هذه الدويلةَ العجيبَهْ؟
حيثُ دخولُ المرءُ للمرحاضِ يحتاجُ إلى قرارْ
والشمسُ كي تطلعَ تحتاجُ إلى قرارْ
والديكُ كي يصيحَ يحتاجُ إلى قرارْ
ورغبةُ الزَوْجينِ في الإنجابِ
تحتاجُ إلى قرارْ
وشَعْرُ من أُحبُّها
يمنعهُ الشُرْطيُّ أن يطيرَ في الريحِ
بلا قرارْ..

٨

ما أَرْدأَ الأحوالَ في دولة (قَمْعِسْتَانْ)
حيث الذكورُ نُسْخَةٌ عن النساءْ
حيثُ النساءُ نسخةٌ عن الذكورْ
حيثُ الترابُ يكره البُذُورْ
وحيث كلُّ طائرٍ يخافُ من بقية الطيورْ
وصاحبُ القرار يحتاج إلى قرارْ.
تلكَ هي الأحوالُ في دولة (قَمْعِسْتَانْ)
الله . . يا زَمَانْ . . .

٩

يا أصدقائي:
إنني مواطنٌ يسكنُ في مدينةٍ ليس بها سُكَّانْ
ليس لها شوارعٌ
ليس لها أرصفةٌ
ليس لها نوافذٌ
ليس لها جدرانْ
ليس بها جرائدٌ
غيرُ التي تطبعُها مطابعُ السلطانْ...
عنوانُها؟
أخافُ أن أبُوحَ بالعنوانْ
كلُّ الذي أعرفه
أنَّ الذي يقوده الحظُّ إلى مدينتي
يرحَمُهُ الرحمنْ..

١٠

يا أصدقائي :
ما هو الشعرُ إذا لم يُعْلِنِ العصيانْ؟
وما هو الشِعرُ إذا لم يُسْقِطِ الطُغاةَ . .والطُغْيَانْ؟
وما هو الشعرُ إذا لم يُحدِثِ الزلزالَ
في الزمانِ والمكانْ؟
وما هو الشعرُ إذا لم يخلعِ التاجَ الذي يلبسُهُ
كِسْرىٰ أنو شروانْ؟

١١

من أجل هذا أُعلنُ العِصْيَانْ
باسْمِ الملايين التي تجهلُ حتى الآن ما هو النهارْ
وما هو الفارقُ بين الغصن والعُصْفُورْ
وما هو الفارقُ بين الورد والمنْثُورْ
وما هو الفارقُ بين النَهْد والرُمَّانَهْ
وما هو الفارقُ بين البحر والزنزانَهْ
وما هو الفارقُ بين القمر الأخضر والقُرُنْفُلَهْ
وبين حَدِّ كِلْمةٍ شجاعةٍ،
وبين حَدِّ المِقْصَلَهْ. . .

١٢

من أجل هذا أُعلنُ العصيانْ
باسْم الملايين التي تُساقُ نحو الذبح كالقِطْعَانْ
باسْم الذين انتُزعتْ أجفانُهُمْ
واقتُلِعَتْ أسنانُهُمْ
وذُوِّبُوا في حامض الكبريت كالديدانْ
باسْم الذينَ ما لهم صوتٌ . .
ولا رأيٌ . .
ولا لسانْ . .
سَأُعلنُ العِصْيَانْ . . .

١٣

مَن أجل هذا أعلنُ العصيانْ
باسم الجماهير التي تجلس كالأبقارِ
تحت الشاشة الصغيرَهْ
باسم الجماهير التي يسقونها الولاءَ
بالملاعق الكبيرَهْ
باسم الجماهير التي تُرْكَبُ كالبعيرْ
من مشرق الشمس إلى مغربها
تُرْكَبُ كالبعيرْ . .
وما لها من الحقوق غيرُ حقّ الماء والشعيرْ
وما لها من الطموح غير أن تأخذ للحلّاق زوجةَ الأميرْ
أو ابنةَ الأميرْ . .
أو كلبةَ الأميرْ . .
باسم الجماهير التي تضرع لله لكي يديمَ القائد العظيمْ
وحزمةَ البرسيمْ . .

١٤

يا أصدقاءَ الشعر:
إنّي شجرُ النارِ، وإنّي كاهنُ الأشواقْ
والناطقُ الرسميُّ عن خمسين مليوناً من العشّاقْ
على يدي ينامُ أهلُ الحب والحنينْ
فمرةً أجعلُهمْ حمائماً
ومرةً أجعلهم أشجارَ ياسمينْ
يا أصدقائي . .
إنني الجرحُ الذي يرفُضُ دوماً
سُلْطَةَ السِكّينْ. . . .

١٥

يا أصدقائي الرائعينْ:
أنا الشفاهُ للذينَ ما لهُمْ شِفَاهْ
أنا العيونُ للذينَ ما لهم عُيُونْ
أنا كتابُ البحر للذينَ ليس يقرأونْ
أنا الكتاباتُ التي يحفرها الدمعُ على عنابر السجونْ
أنا كهذا العصر، يا حبيبتي
أواجهُ الجنونَ بالجنونْ
وأكسر الأشياءَ في طفولةٍ
وفي دمي، رائحةُ الثورة والليمونْ..
أنا كما عرفتموني دائماً
هوايتي أن أكسر القانونْ
أنا كما عرفتموني دائماً
أكونُ بالشِعْر.. وإلاّ لا أريدُ أن أكونْ...

١٦

يا أصدقائي :
أنتُمُ الشِعْرُ الحقيقيُّ
ولا يَهُمُّ أن يضحكَ . . أو يَعْبِسَ . .
أو أن يغضبَ السلطانْ . .
أنتُمْ سلاطيني . .
ومنكمْ أستمدُّ المجدَ، والقوَّة، والسُلْطَانْ . .
قصائدي ممنوعةٌ . .
في المُدُنِ التي تنامُ فوق الملحِ والحِجَارَهْ

قَصَائدي ممنوعةٌ . .
لأنَّها تحمل للإنسان عطرَ الحبِّ، والحضارَهْ
قصائدي مرفوضةٌ . .
لأنَّها لكلِّ بيتٍ تحمل البِشَارَهْ
يا أصدقائي :
إنني ما زلتُ بانتظاركمْ
لنُوقِدَ الشرارَهْ . . .

بيروت ١٥/ ١١/ ١٩٨٤

هَجَمَ النفطُ مثل ذئبٍ علينا. . .

مِنْ بِحَار النزيفِ. . جاءَ إليكُمْ
حاملاً قلبَهُ على كفَّيْهِ

ساحباً خِنْجرَ الفضيحةِ والشعرِ،
ونارُ التغيير في عينيْهِ

نازعاً معطفَ العُرُوبة عنهُ
قاتلاً، في ضميرهِ، أبَوَيْهِ

كافراً بالنُصُوص، لا تسألوهُ
كيف مات التاريخُ في مقلَتيْهِ

كسَرَتْهُ بيروتُ مثلَ إناءٍ
فأَتى ماشياً على جفنيْهِ

أين يمضي؟ كلُّ الخرائط ضاعتْ
أين يأوي؟ لا سَقْفَ يأوي إليهِ

ليسَ في الحيِّ كلِّهِ قُرَشِيٌّ
غَسَلَ اللهُ من قُرَيْشٍ يَدَيْهِ

*

هَجَمَ النفطُ مثلَ ذئْبٍ عليْنا
فارتميْنَا قَتْلى على نَعْلَيهِ

وقَطَعْنَا صلاتَنا.. واقْتَنَعْنَا
أنَّ مجدَ الغنيِّ في خِصْيَتَيْهِ

أمَريكا تجرّبُ السَوْط فينا
وتَشُدُّ الكبيرَ من أُذُنَيْهِ

وتبيعُ الأعرابَ أفلامَ فيديو
وتبيعُ الكُولا إلى سيبَوَيْهِ...

أَمَريكا ربٌّ.. وألفُ جبانٍ
بيننا، راكعٌ على ركبَتَيْهِ

*

من خرابِ الخراب.. جاء إليكُمْ
حاملاً موتَهُ على كَتِفَيْهِ

أيَّ شِعْرٍ تُرَى، تريدونَ منه
والمساميرُ، بعدُ، في مِعْصَمَيْهِ..

يا بلاداً بلا شُعُوبٍ.. أفيقي
واسْحَبي المستبدَّ من رجْلَيْهِ

يا بلاداً تَسْتَعْذِبُ القمعَ.. حتّى
صارَ عقلُ الإنسان في قَدَميْهِ

كيفَ يا سادتي، يُغنّي المغنّي
بعدما خيَّطوا له شفتيْهِ؟

هل إذا ماتَ شاعرٌ عربيٌّ
يجدُ اليومَ مَنْ يُصَلّي عليهِ؟...

*

من شظايا بيروتَ.. جاء إليكُمْ
والسكاكينُ مزّقَتْ رئتيْهِ

رافعاً رايةَ العدالةِ والحُبّ. .
وسيفُ الجلّاد يُومي إليهِ

قد تساوتْ كلُّ المشانق طولاً
وتَساوى شكلُ السجون لديهِ

لا يبوسُ اليديْنَ شِعْري. . . وأحرى
بالسلاطينِ، أن يَبُوسُوا يَدَيْهِ. . .

بيروت ١٤/ ١٠/ ٨٤

من يوميَّات كلبٍ مُثقَّف...

مولايَ:
لا أريدُ منكَ ياقُوتاً.. ولا ذَهَبْ
ولا أريدُ منكَ أن تُلْبِسَني
الديباجَ والقَصَبْ
كلُّ الذي أرجوهُ أن تَسْمَعَني
لأنني أنقلُ في قصائدي إليكْ
جميعَ أصواتِ العَرَبْ
جميعَ لَعْناتِ العَرَبْ..

*

إن كنتَ - يا مولايَ -
لا تُحِبُّ الشعرَ والصُداحْ
فقلْ لسيَّافكَ أن يمنَحني
حُرِّيةَ النُبَاحْ...

قرص الأسبرين

لا . .
ليسَ هذا وطني الكبيرْ
لا . .
ليس هذا الوطنُ المربَّعُ الخانات كالشطرنجِ . .
والقابعُ مثل نملةٍ في أسفل الخريطَهْ . .
هو الذي قال لنا مُدرِّسُ التاريخ في شبابنا
بأنَّه موطنُنا الكبيرْ.

*

لا . .
ليس هذا الوطنُ المصنوعُ من عشرينَ كانتوناً . .
ومن عشرينَ دُكَّاناً . .
ومن عشرينَ صرّافاً . .
وحلّاقاً . .
وشُرْطياً . .
وَطبَّالاً . . وراقصةً . .
يُسمَّى وَطني الكبيرْ . .

لا . . .
ليس هذا الوطنُ المحكومُ من عشرينَ مَجْنُوناً
ومن عشرينَ سُلْطاناً . .
ومن عشرينَ قُرْصَاناً . . .
ومن عشرينَ سَجَّاناً
يُسمَّى وطني الكبيرْ.

لا . . .
ليس هذا الوطنُ الساديُّ . . والفَاشِيُّ
والشحَّاذُ . . والنَفْطيُّ
والفنّانُ . . والأُميُّ
والثوريُّ . . والرَجْعيُّ
والصُوفيُّ . . والجِنْسيُّ
والشيطانُ . . والنبيُّ
والفقيهُ، والحكيمُ، والإمامْ
هو الذي كان لنا في سالف الأيَّامْ
حديقةَ الأحلامْ . .

لا . . .
ليس هذا الكائنُ المحكومُ بالإعدامِ . .
والمصابُ بالفُصَامِ ،
والجالسُ مثلَ الكلبِ تحت جَزْمَةِ النظَامِ ،
والممنوعُ من حرّية التعبيرْ
لا . . .
ليس هذا الجَسَدُ المصلوبُ
فوق حائط الأحزان كالمسيحْ
لا . . .
ليس هذا الوطنُ الممسوخُ كالصَرْصَار،
والضيّقُ كالضريحْ . .
لا . .
ليس هذا وطني الكبيرْ.

لا . . .
ليس هذا الأَبلهُ المعاقُ. . والمرقَّعُ الثيابِ،
والمجذوبُ، والمغلوبُ. .
والمشْغُولُ في النحو وفي الصَرْفِ. .
وفي قراءةِ الفنجانِ والتَبْصِيرْ. .
لا. .
ليس هذا وطني الكبيرْ. .

لا . . .
ليس هذا الوطنُ المنكَّسُ الأعلامِ . .
والغارقُ في مُسْتَنْقَعِ الكلامِ ،
والحافي على سطحٍ من الكبريتِ والقَصْدِيرْ
لا . . .
ليس هذا الرجلُ المنقولُ في سيّارةِ الإسعافِ،
والمحفوظُ في ثلّاجة الأمواتِ،
والمعطَّلُ الإحساسِ والضميرْ
لا . . .
ليس هذا وَطَني الكبيرْ.

لا . .
ليس هذا الرجُلُ المقْهُورُ . .
والمكْسُورُ . .
والمذعورُ كالفأرةِ . .
والباحثُ في زجاجة الكُحُولِ عن مصيرْ
لا . . .
ليس هذا وطني الكبيرْ . .

يا وَطَني :
يا أيُّها الضائعُ في الزمانِ، والمكانِ،
والباحثُ في منازل العُرْبَانِ . .
عن سَقْفٍ ، وعن سريرْ
لقد كبُرْنا . . واكتشفنا لُعْبَةَ التزويرْ
فالوطنُ المِنْ أجلِهِ مات صلاحُ الدينْ
يأكله الجائعُ في سهولةٍ
كعُلْبَةِ السردينْ . .
والوطنُ المِنْ أجله قد غنَّت الخُيُولُ في حِطّينْ
يبلَعُهُ الإنسانُ في سهولةٍ . .
كقُرْصِ أسْبِرينْ ! ! . .

بيروت ٨/ ١/ ٨٥

السمفونيةُ الجنوبيةُ الخامسة

١

سَمَّيْتُكَ الجَنوبْ
يا لابساً عَبَاءَةَ الحُسَينْ
وشَمْسَ كَرْبَلاَءْ
يا شَجَر الوردِ الذي يحترفُ الفداءْ
يا ثورةَ الأرض الْتَقَتْ بثورة السماءْ
يا جَسَداً يطلعُ من ترابهِ
قَمْحٌ.. وأنبياءْ.

إسمَحْ لنا...
بأنْ نَبُوسَ السيفَ في يَدَيْكْ
إسمحْ لنا..
أن نعبدَ اللّهَ الذي يُطلُّ من عينيكْ
يا أيُّها المغسولُ في دمائه كالوردةِ الجُوريَّهْ
أنتَ الذي أعطيتنَا شهادةَ الميلادْ
ووردةَ الحريَّهْ..

٢

سمَّيتُكَ الجَنُوبْ
يا قَمَر الحُزْن الذي يطلعُ ليلاً من عُيُون فاطِمَهْ.
يا سُفُنَ الصَيْد التي تحترفُ المُقَاوَمَهْ..
يا سَمَك البحر الذي يحترفُ المُقَاوَمَهْ..
يا كُتُبَ الشعر التي تحترفُ المُقَاوَمَهْ..
يا ضِفْدَعَ النهر الذي
يقرأُ طولَ الليل سُورَةَ المُقَاوَمَهْ..

يا رَكْوَةَ القَهْوَةِ فوقَ الفَحْمِ ،
يا أيَّامَ عاشُوراءَ ،
يا شَرَابَ ماءِ الزَهْرِ في صيدا ،
ويا مآذنَ اللّهِ التي تدعُو إلى المقاومَهْ
يا سَهَراتِ الزَجَلِ الشعبيِّ ،
يا لَعْلَعَةَ الرَصَاصِ في الأعراسِ ،
يا زَغْرَدَةَ النساءِ ،
يا جرائدَ الحائط ،
يا فَصَائلَ النمل التي
تُهرِّبُ السلاحَ للمُقاوَمَهْ . . .

٣

سَمَّيتُكَ الجَنُوبْ

يا من يُصلّي الفجرَ في حقلٍ من الألغامْ
لا تنتظرْ من عرب اليوم سوى الكلامْ . . .
لا تنتظرْ منهم سوى رَسَائل الغَرَامْ
لا تلتفِتْ إلى الوراء يا سيّدَنا الإمامْ
فليس في الوراء غيرُ الجهل والظلامْ
وليس في الوراء غيرُ الطين والسُخَامْ
وليس في الوراء إلا مُدُنُ الطُرُوحِ والأقزَامْ
حيثُ الغنيُّ يأكلُ الفقيرْ
حيثُ الكبيرُ يأكلُ الصغيرْ
حيثُ النظامُ يأكُلُ النظامْ . .

٤

سَمَّيتُكَ الجَنُوبْ
سَمَّيتُكَ الشَمْعَ الذي يُضَاءُ في الكنائسْ
سَمَّيتُكَ الحُنَّاءَ في أصابع العرائسْ
سَمَّيتُكَ الشِعْرَ البطوليَّ الذي
يحفظهُ الأطفالُ في المدارسْ
سَمَّيتُكَ الأقلامَ، والدفاترَ الورديَّهْ
سَمَّيتُكَ الكِتابةَ السريَّهْ..
سَمَّيتكَ الرصاصَ في أزقّة (النَبْطِيَّهْ)
سَمَّيتُكَ النُشُورَ والقيامَهْ
سَمَّيتُكَ الصيفَ الذي تحملُهُ
في ريشها الحَمَامَهْ..

٥

سمَّيتُكَ الجَنُوبْ
سمّيْتُكَ المياهَ والسنابلْ
وشَتْلَةَ التَبْغ التي تُقَاتِلْ
ونَجْمَةَ الغروبْ
سَمَّيتُكَ الفجرَ الذي ينتظرُ الولادَهْ
والجَسَدَ المشتاقَ للشهادَهْ
يا آخرَ المدافعينَ عن ثرى طِروادَهْ
سَمَّيتُكَ الثورةَ، والدهْشَةَ، والتغييرْ
سَمَّيتُكَ النقيَّ، والتقيَّ، والعزيزَ، والقديرْ
سَمَّيتُكَ الكبيرَ أيُّها الكبيرْ
سمَّيتُكَ الجَنوبْ..

٦

سَمَّيتُكَ الجَنُوبْ
سَمَّيتُكَ النوارسَ البيضاءَ، والزوارقْ
سَمَّيتُكَ الأطفالَ يلعبونَ بالزنابقْ
سَمَّيتُكَ الرجالَ يسهرونَ حول النار والبنادقْ
سَمَّيتُكَ القصيدةَ الزرقاءْ
سَمَّيتُكَ البَرْقَ الذي بناره تشتعلُ الأشياءْ
سَمَّيتُكَ المسدَّسَ المخبوءَ في ضفائر النساءْ
سَمّيتُكَ الموتىٰ الذينَ بعد أن يُشيَّعُوا
يأتونَ للعشاءْ..
ويَستَريحُونَ إلى فراشهمْ
ويطمئنّونَ على أطفالهمْ
وحين يأتي الفجرُ، يرجعُونَ للسَمَاءْ..

٧

سَمَّيتُكَ الجَنُوبْ
يا أيُّها الطالعُ مثلَ العُشْب من دفاتر الأيَّامْ
يا أيُّها المسافرُ القديمُ فوق الشوكِ والآلامْ
يا أيُّها المُضِيءُ كالنَجْمَة، والساطعُ كالحُسَامْ
لولاكَ ما زلنا على عبادة الأصنامْ
لولاكَ كنّا نتعاطى عَلَناً
حَشِيشَةَ الأحلامْ
إسْمَحْ لنا بأن نبوسَ السيفَ في يَدَيْكْ
إسْمَحْ لنا أن نجمعَ الغُبَارَ عن نَعْلَيكْ
لو لَمْ تجيءْ يا سيّدي الإمامْ
كُنَّا أمامَ القائد العِبْريِّ
مذبوحينَ كالأغنامْ. . .

٨

يا سيِّدَ الأمطار والمواسِمْ
يا ثورةً شعبيّةً تحملُ في أحشَائها التوائِمْ
سَمَّيتُكَ الحُبَّ الذي يَسْكُنُ في الخواتمْ
سَمَّيتُكَ العطرَ الذي يسكُنُ في البراعِمْ
سَمَّيتُكَ السُنُونُو
سَمَّيتُكَ الحمائمْ
يا سيّدَ الأسيادِ، يا مَلْحَمَةَ الملاحِمْ.

٩

البحرُ نصٌّ أزرقُ يكتُبُهُ عَليّ
ومَرْيمُ تجلسُ فوقَ الرمل كلَّ ليلةٍ
تنتظرُ المهديَّ.
وتقطفُ الوردَ الذي يطلع من أصابع الضَحَايا
وزينبُ تُخَبّىءُ السلاحَ في قَمِيصِها
وتَجْمَعُ الشَظَايا
وتحملُ السلاحَ للموتى الذينَ
يقطُنُونَ داخلَ المرايا..

١٠

فاطمةُ تَجيءُ من صُورٍ، وفي ثيابها
رائحةُ النَعْنَاع والليمونْ
فاطمةٌ تجيئُني، وشَعْرُها
يُشْبِهُ هذا الزَمَنَ المجنونْ
فَاطمةٌ تأتي.. وفي عُيُونها
خَيْلٌ، ورايات، وثائرونْ
هل الحروبُ يا تُرى..
تُعَمِّقُ السوادَ في العُيُونْ؟؟

١١

سيذكُرُ التاريخُ يوماً قريةً صغيرةً
بين قُرى الجنوبِ،
تُدعَى (مَعْرَكَهْ).
قد دافعتْ بصدرها
عن شَرَفِ الأرض، وعن كرامة العُرُوبَهْ
وحَوْلَها قبائلُ جَبانَةٌ
وأُمَّةٌ مُفَكَّكَهْ...

١٢

مِنْ بحرِ صيدا يبدأُ السُؤَالْ
مِنْ بحرِها..
يخرجُ آلُ البيت كلَّ ليلةٍ
كأنَّهمْ أشجارُ بُرْتُقَالْ
مِنْ بحرِ صورٍ..
يطلعُ الخنجرُ، والوردةُ، والموَّالْ،
ويطلعُ الأبطالْ..

١٣

سَمَّيتُكَ الجَنُوبْ
سَمَّيتُكَ الأجْراسَ والأعيادْ
وضِحْكَةَ الشمس على مَرَايل الأولادْ
يا أيُّها القدّيسُ، والشاعرُ، والشهيدْ
يا أيُّها المَسْكونُ بالجديدْ
يا طَلْقَةَ الرصاصِ في جبين أهل الكَهْفْ
ويا نَبيَّ العُنْفْ..
ويا الذي أطْلَقَنا من أسْرِنا
ويا الذي حرَّرنا من خَوْفْ.

١٤

يا أيُّها السيفُ الذي يلمعُ بين التَبْغ والقَصَبْ
يا أيُّها المُهْرُ الذي يصهلُ في بَرِيّةَ الغَضَبْ
إيَّاكَ أن تقرأ حرفاً من كتابات العَرَبْ
فحربُهُمْ إشاعةٌ . .
وسيفُهُمْ خَشَبْ . .
وعشقهمْ خيانةٌ
ووعْدُهُمْ كَذِبْ
إياكَ أن تسمع حرفاً من خطابات العَرَبْ
فكلُّها نَحْوٌ . وصَرْفٌ، وأَدَبْ
وكلُّها أضغاثُ أحلامٍ ، وَوَصْلاتُ طَرَبْ
لا تَسْتَغِثْ بمازنٍ، أو وائلٍ ، أو تَغْلبٍ
فليس في معاجم الأقوام،
قومٌ إسْمُهُمْ عَرَبْ!! .

١٥

يا سيِّدي: يا سيّدَ الأحرارْ:
لم يبقَ إلا أنتْ.
في زَمَن السُقُوط والدَمَارْ
في زمن التراجُع الثوريِّ..
والتراجُع القوميِّ،
والتراجُع الفكريِّ،
واللصوصِ والتُجَّارْ
في زمن الفرارْ..
الكلماتُ أصبحتْ، يا سيّدي الجنوبْ،
للبيع والإيجارْ
والمُفْرَداتُ يشتغلنَ راقصاتٍ
في بلاد النفطِ.. والدولارْ..

لم يبقَ إلا أنتْ
تسيرُ فوقَ الشوكِ والزُجاجْ
والإخوةُ الكرامُ..
نائمونَ فوقَ البَيْضِ ، كالدَّجاجْ
وفي زمان الحرب، يهرُبُونَ كالدَّجَاجْ
يا سيّدي الجنوبْ:
في مُدُن الملح التي يسكنُها الطاعونُ والغُبَارْ
في مُدُن الموت التي تخافُ أن تزورَها الأمطارْ
لم يبقَ إلا أنتْ..
تزرعُ في حياتنا النخيلَ، والأعنابَ، والأقمارْ
لم يبقَ إلا أنتَ.. إلا أنتَ.. إلا أنتْ
فافتَحْ لنا بوّابَةَ النَهارْ...

بيروت ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٨٥

آخر عصفورٍ يخرج من غرناطة. .

١

عَيْنَاكِ. . آخِرُ مركبيْنِ يُسافرانِ
فهل هنالكَ من مكانْ؟
إنّي تعبتُ من التسكّعِ في محطّاتِ الجنونِ
وما وصلتُ إلى مكانْ. .

عَيْنَاكِ آخرُ فرصتين مُتاحَتَيْنِ
لمَنْ يفكّرُ بالهروبْ. .
وأنا. . أفكّرُ بالهروبْ. .
عَيْنَاكِ آخرُ ما تبقَّى من عصافير الجنوبْ
عَيْنَاكِ آخرُ ما تبقَّى من نُجُوم الصيفِ،
آخرُ ما تبقّى من حشيش البحرِ،
آخرُ ما تبقّى من حُقُول التَبْغِ ،
آخرُ ما تبقّى من دُمُوع الأُقحوانْ
عيناكِ. . آخرُ زَفَّةٍ شعبيّةٍ تجري
وآخرُ مهرجانْ. .

٢

عَيْنَاكِ.. آخرُ ما تبقّى من تراث العشْق،
آخرُ ما تبقّى من مكاتيب الغَرَامْ
ويَدَاكِ.. آخرُ دفتريْنِ من الحرير..
عليهما..
سَجَّلتُ أحلى ما لديَّ من الكلامْ
العِشْقُ يكويني، كلوح التُوتياءِ،
ولا أذُوبْ..
والشعرُ يطعنُني بخنجرِهِ..
وأرفضُ أن أتُوبْ..

إنّي أُحِبّكِ . .
يا التي اخْتَزَنَتْ بعينَيْها بحيراتِ الجنوبْ
ظلّي معي . .
حتى يظلَّ البحرُ مُحْتَفظاً بزُرْقَتهِ
ويبقى الخوخُ مُحتفظاً بنكهتهِ ،
ويبقى وجهُ فاطمةٍ
يُحلّق كالحمامةِ تحت أضواء الغروبْ
ظلّي معي . . فلربّما يأتي الحسينُ
وفي عباءته الحمائمُ ، والمباخرُ ، والطيوبْ
ووراءَهُ تمشي المآذنُ ، والرُبى
وجميعُ ثوّار الجنوبْ . .

٣

عَيْنَاكِ آخرُ ساحلَيْنِ من البَنَفْسَجِ
والعواصفُ مزَّقَتْني
فكّرتُ أن الشعرَ يُنْقذُني . .
ولكنَّ القصائدَ أغْرَقَتْني . .
فكَّرتُ أن الحبَّ يمكنُ أن يلَمْلِمَنِي
ولكنَّ النساءَ تقاسَمَتْني . .

أحبيبتي :
أعجوبةٌ أن ألتقي امرأةً بهذا الليلِ ،
ترضى أن تُرافِقَني . .
وتغسِلَني بأمطار الحنانْ
أُعجوبةٌ أنْ يكتبَ الشعراءُ في هذا الزمانْ .
أُعجوبةٌ أنّ القصيدةَ لا تزالُ
تمرُّ من بين الحَرَائقِ والدُخَانْ
أُعجوبةٌ أنّ القصيدةَ لا تزال
تنطُّ من فوق الحواجزِ، والمخافرِ، والهزائمِ ،
كالحصانْ
أُعجوبةٌ . . أنّ الكتابة لا تزالُ . .
برغم شَمْشَمَة الكلابِ . .
ورغْمَ أقبية المباحثِ ،
مصدراً للعُنْفُوانْ . . .

٤

لماءُ في عينيْكِ زيتيٌّ . .
رَمَاديٌّ . .
نبيذيٌّ . .
وأشرعتي دُمُوعْ
وأنا على سطح السفينةِ،
مثلَ عُصْفُورٍ يتيمٍ
لا يفكّرُ بالرجوعْ . .

بيروتُ أرملةُ العروبةِ
والحواجزِ،
والطَوَائِفِ،
والجريمةِ، والجُنُونْ..
بيروتَ تُذْبَحُ في سرير زفافها
والناسُ حول سريرها متفرّجونْ
بيروتُ..
تَنْزِفُ كالدَجَاجة في الطريقِ،
فأينَ فرَّ العاشقونْ؟
بيروتُ تبحثُ عن حقيقتِها،
وتبحثُ عن قبيلتِها..
وتبحثُ عن أقاربها..
ولكنَّ الجميعَ منافقُونْ..

٥

عَيْنَاكِ.. آخرُ رحلةٍ ليليّةٍ
وحقائبي في الأرض تنتظرُ الهبوبْ
تَتَوسَّلُ الأشجارُ باكيةً لآخذَها معي
أرأيتُمُ شجراً يفكّرُ بالهروبْ؟
هذا هو الزمنُ المضرّجُ بالبَشَاعةِ، والفَضَائِح،
والخيانةِ، والذنوبْ..

هذا هو الزمنُ الذي فيه الثقافةُ،
والكتابةُ،
والكرامةُ،
والرُجُولةُ في غُروبْ
كيف الدخولُ إلى القصيدة يا ترىٰ؟
ودَفَاتري ملأىٰ بآلاف الثُقُوبْ..
وقميصيَ العربيُّ مملوءٌ بآلاف الثُقُوبْ..
النَفْطُ يستلقي سعيداً تحت أشجار النُعَاسِ،
وبين أثداء الحريمْ..
هذا الذي قد جاءنا
بثيابِ شَيْطَانٍ رجيمْ...

النَفْطُ هذا السائلُ المَنويُّ . .
لا القوميُّ . .
لا العربيُّ . .
لا الشعبيُّ
هذا الأرنبُ المهزومُ في كلِّ الحروبْ
النَفْطُ مَشْرُوبُ الأَبَاطِرة الكبارِ،
وليسَ مَشْروبَ الشعوبْ . .

٦

كيف الدخولُ إلى القصيدة يا تُرىٰ؟
والنَفْطُ يَشْري
ألفَ مُنْتَجَعٍ (بماربيًّا) . . .
ويَشْري نصفَ باريسٍ . .
ويَشْري نصفَ ما في (نيسَ) من شمسٍ وأجسادٍ . .
ويَشْري ألفَ يَخْتٍ في بحار اللهِ . .
يَشْري ألفَ إمرأةٍ بإذْنِ اللهِ . .
يَشْري ألفَ غانيةٍ لَعُوبْ
لكنَّهُ . .
لا يشتري سَيْفاً لتحرير الجنوبْ . .

٧

عَيْنَاكِ.. آخرُ ما تبقّى من شُتُول النَخْلِ
في وطَني الحزينْ.
وهواكِ أجملُ ثورةٍ بَيْضَاءَ..
تُعْلَنُ من ملايين السنينْ
كُوني معي امرأةً..
يُغطّي وجهُها وجهَ الصباحْ
كُوني معي شَعْراً
يُسافرُ دائماً عكْسَ الرياحْ..
كُوني معي غجريّةً، بَدَويَّةً. وحْشيّةً
كُوني معي جِنّيةً
لا يبلغُ العشّاقُ ذَرْوَةَ عِشْقهمْ
إلّا إذا التحقوا بصفّ الغاضبينْ..

أحبيبتي :
إنّي لأعلنُ أنّ ما في الأرض من عِنَبٍ وتينْ
حقٌّ لكلِّ المُعْدَمينْ
وبأنَّ كلَّ الشِعْرِ . . كلَّ النثرِ . .
كلَّ الكُحْلِ في العينيْنِ . .
كلَّ اللؤلؤِ المخبوءِ في النهديْنِ . .
كلَّ العشب، كلَّ الياسمينْ
حقٌّ لكل الحالمينْ . .
كُوني معي . .
ولسوفَ أُعلنُ أن شمس الله،
تُشْبهُ في استدارتها رغيفَ الجائعينْ
ولسوفَ أُعلنُ دونما حَرَجٍ
بأنَّ الشِعْرَ أقوىٰ من جميع الحاكمينْ . . .

بيروت ٢١/ ١٠/ ١٩٨٤

التأشيرة

١

في مركزٍ للأمن في إحدى البلاد الناميَهْ
وقفتُ عند نقطة التفتيش ،
ما كان معي شيءٌ سوى أحزانيَهْ
كانت بلادي بعد ميلٍ واحدٍ
وكان قلبي في ضلوعي راقصاً
كأنه حَمامةٌ مشتاقةٌ للساقيَهْ .

كان جَوَازي بيدي
يحلُمُ بالأرض التي لعبتُ في حقولها
وأطْعَمَتْني قَمحَها، ولوزَها، وتينَها
وأرْضَعَتْني العافيَهْ..

*

وَقَفتُ في الطابورِ،
كانَ الناسُ يأكلونَ اللُّبَّ.. والتُرْمُسَ..
كانوا يطرحونَ البولَ مثل الماشيَهْ
من عهد فِرْعَونٍ.. إلى أيّامنا
هناكَ دوماً حاكمٌ بأمرهِ
وأمّةٌ تبولُ فوق نَفْسِها كالماشيَهْ..

٢

في مركزٍ للأمن في بلاديَهْ
وليس في الكونغُو. . ولا تانْزَانيا
الشمسُ كانت تلبسُ الكاكيَّ،
والأشجارُ كانت تلبسُ الكاكيَّ،
والوردةُ كانت تلبسُ الملابسَ المرقَّطَهْ. .
كان هناك الخوفُ من أمامِنا
والخوفُ من ورائِنا
وضابطٌ مُدجَّجٌ بخمس نَجْماتٍ. . وبالكَراهيَهْ
يجرُّنا من خلفه كأننا غَنَمْ
مِنْ يوم قابيلَ إلى أيّـامنا
كان هنَاكَ قاتلٌ محترفٌ
وأمَّـةٌ تُسْلَخُ مثل الماشيَهْ. . .

٣

في مركز العذاب، حيثُ الشمسُ لا تَدُورْ..
والوقتُ لا يَدُورْ..
وحيثُ لا يبقى من الإِنسان غيرُ الليفِ والقُشُورْ
يمتدُّ خطٌّ أحمرُ..
ما بينَ برلينيْن، بيروتيْن، صَنْعَائيْنِ،
مَكَّتيْن، مُصْحَفَيْنِ، قِبْلَتَيْنِ،
مَذْهَبَيْنِ،
لَهْجَتَيْنِ،
حَارَتَيْنِ،
شَارتيْ مرورْ..
الرُعْبُ كان سيّدَ الفُصُولْ
والأرضُ كانتْ تَشْحَذُ الأمطارَ من أيلولْ
ونحنُ كنّا نَشْحَذُ الأَمْرَ الهَمَايُونيَّ بالدخولْ..

واعجبي . . .
أَكُلَّما استقلَّ شعبٌ من شعوب آسيا
يَسُوقُهُ أبطالُهُ للذَبْحِ مثلَ الماشيَهْ؟؟

٤

أينَ أنا؟
كلُّ العلامات تقولُ:
هذه (أعْرَابِيَا) . .
كلُّ الإهانات التي نَسْمعُها
بضاعةٌ قديمةٌ تُنْتِجُها (أعْرابيَا) .
كلُّ الدروبِ، كلُّها
تُفْضي لسيفِ الطاغيهْ . .

أينَ أنا؟
ما بينَ كُلِّ شارعٍ وشارعٍ . .
قامتْ بَلَدْ . .
ما بين كلِّ حائطٍ وحائطٍ . .
قامت بَلَدْ . .
ما بين كلِّ نَخْلَةٍ وظلِّها . .
قامت بَلَدْ . .
ما بين كُلِّ امرأةٍ وطفلِها . .
قامتْ بَلَدْ . .
يا خالقي : يا راسمَ الأُفْقِ، ويا مُهَنْدسَ السماءْ
هل ذلكَ الثُقْبُ الذي ليس يُرى
هو البَلَدْ؟؟؟

٥

فِي مركز الجُنُونِ، والصُداعِ، والسُعَالِ، والبَلْهَارْسيَا
وقفتُ شهراً كاملاً
وقفتُ عاماً كاملاً
وقفتُ دهراً كاملاً
أمامَ أبواب زعيم المَافِيا..
أشْحَذُ منه الإِذْنَ بالمرورْ..
أشحذُ منه مَنْزِلَ الطُفُولَهْ
والوردَ، والزنبقَ، والأَضَاليا
أشْحَذُ منهُ غرفتي
والحبرَ، والأقلامَ، والطبْشُورْ
قلتُ لنفسي وأنا..
أواجهُ البنادقَ الروسيّة المُخرْطَشَهْ
واعَجَبي.. واعَجَبي..
هل أصبحَ الله زعيمَ المافيا؟؟

٦

في مركزٍ للخوفِ لا إسمَ لهُ
لكنَّهُ..
يَنْبُتُ مثلَ الفِطْرِ في كلِّ زوايا الباديَهْ
وقفتُ عمراً كاملاً
وعندما أصبحتُ شيخاً طاعناً
ووافقوا على دُخُولي وَطَني
عرفتُ أن الوطَنَ الغالي الذي عَشِقْتُهُ
ما عادَ في الجُغْرافيا..
ما عادَ في الجُغْرَافيا...
ما عاد في الجُغْرَافيا...

جنيف أيار (مايو) ١٩٨٦

لماذا يسقطُ مُتْعِبُ بنُ تَعْبَانْ
في امتحان حقوق الإنسانْ؟

١

مُواطنونَ.. دُونَما وَطَنْ
مُطَارَدُونَ كالعصافير على خرائطِ الزَمَنْ..
مُسَافِرُونَ دُونَ أوراقٍ
ومَوتىٰ دُونَما كَفَنْ.
نحنُ بغايا العصرِ.. كلُّ حاكمٍ
يبيعُنا، ويقبضُ الثَمَنْ!!

نحنُ جَوَاري القصرِ، يُرْسِلونَنَا
من حُجْرَةٍ لحُجْرَةٍ
من قَبْضةٍ لقَبْضةٍ
من هالِكٍ لمالِكٍ
من وَثَنٍ إلى وَثَنْ
نركُضُ كالكلاب كلَّ ليلةٍ
من عَدَنٍ لطَنْجَةٍ
من طَنْجَةٍ إلى عَدَنْ
نبحثُ عن قبيلةٍ تَقْبَلُنا
نبحثُ عن عائلةٍ تُعيلُنا
نبحثُ عن ستارةٍ تستُرُنا
وعن سَكَنْ . .

وحَولَنا أولادُنا
إحْدَودَبتْ ظهورُهُمْ، وشَاخُوا
وهُمْ يُفتّشونَ في المعاجمِ القديمَهْ
عن جَنَّةٍ نضيرةٍ
عن كِذْبَةٍ كبيرةٍ كبيرةٍ..
تُدْعى الوَطَنْ..

*

٢

مُواطنونَ نحنُ في مدائن البُكَاءْ
قَهْوتُنا مصنوعةٌ من دم كَرْبَلاءْ
حِنْطتُنا معجونةٌ بلحم كَرْبَلاءْ
طعامُنا. شرابُنا
عاداتُنا. راياتُنا
صيامُنا. صَلاَتُنا
زُهورُنا. قُبورُنا
جُلُودُنا مَخْتُومةٌ بخَتْم كربلاءْ..

لا أَحَدٌ يعرفُنا في هذه الصحراءْ
لا نَخْلةٌ. لا ناقةٌ.
لا وَتَدٌ.. لا حَجَرٌ
لا هِنْدُ.. لا عَفْرَاءْ
أوراقُنا مُريبةٌ
أفكارُنا غريبةٌ
فلا الذين يشربونَ النَفْطَ يعرفُونَنَا
ولا الذين يشربُونَ الدمعَ والشقاءْ...

٣

مُعْتَقَلُونَ . .
داخلَ النصّ الذي يكتبُهُ حُكَّامُنَا
مُعْتَقَلُونَ . .
داخلَ الدين كما فَسَّره إمامُنا
مُعْتَقَلُونَ . .
داخلَ الحُزْن، وأحلى ما بنا أحزانُنَا
مُراقَبون نحنُ في المقهى . . وفي البيتِ . .
وفي أرْحَام أمَّهاتِنا . .
حيثُ تلفَّتْنَا، وجدنا المخبرَ السِريَّ في انتظارِنا
يَشْرَبُ من قهوتنا . .
يَنَامُ في فراشِنا . .

يَعْبَثُ في بريدِنا
يَنْكُشُ في أوراقِنا
يدخُلُ من أنوفِنا
يخرجُ من سُعَالِنا
لسانُنا مَقْطُوعْ . .
ورأسُنا مَقْطُوعْ . .
وخبزُنا مبلَّلٌ بالخوف والدموعْ . .
إذا تظلَّمنا إلى حامي الحِمَى
قيل لنا: مَمْنُوعْ . .
وإنْ تضرَّعنا إلى ربِّ السَمَا
قيلَ لنا: مَمْنوعْ . .

ورأيْتُ هنهننا.
يا رسولَ الله، كُنْ في عَوْننَا
يُعطونَنَا تأشيرةً من غَيْرِ ما رُجُوعْ
وإن طَلَبْنَا قَلَماً
لنكتبَ القصيدةَ الأخيرَهْ
أو نكتبَ الوصيّةَ الأخيرَهْ
قُبَيْلَ أن نَمُوتَ شَنْقَاً
غَيَّروا الموضوعْ. .

*

٤

يا وَطَني المصلوبَ فوقَ حائطِ الكراهيَهْ
يا كُرَةَ النار التي تسيرُ نحو الهاوِيَهْ
لا أَحَدٌ من مُضَرٍ. . أو من بني ثَقِيفْ
أعطى لهذا الوطنِ الغارقِ بالنزيفْ
زُجَاجَةً من دمِهِ. .
أو بَوْلِهِ الشريفْ! !
لا أَحَدٌ. . على امتداد هذه العباءة المُرقَّعَهْ. .
أهداكَ يوماً مِعْطَفَاً أو قُبَّعَهْ. .
يا وَطَني المكسورَ مثل عشبة الخريفْ. .

مُقْتَلَعُونَ نحنُ كالأشجار من مَكَانِنا . .
مُهَجَّرونَ من أمانينا، وذكرياتِنَا
عُيونُنا تخافُ من أهدابِنَا
شفاهُنا تخافُ من أصواتِنا
حُكَّامُنا آلهةٌ يجري الدمُ الأزْرَقُ في عُرُوقِهِمْ
ونحنُ نَسْلُ الجاريَهْ
لا سادةُ الحجاز يعرفُونَنَا . .
ولا رَعَاعُ الباديَهْ .
ولا أبو الطيب يَسْتَضِيفُنا . .
ولا أبو العتاهيَهْ .
إذا ضحكنا لعليٍّ مرةً . .
يقتُلنا مُعاويَهْ . .

٥

مُهَاجِرونَ نحنُ من مرافِىءِ التَعَبْ
لا أحدٌ يريدُنا
من بحر بيروتَ.. إلى بحر العَرَبْ..
لا الفاطميّونَ، ولا القرامِطَهْ..
ولا المماليكُ، ولا البرامكَهْ.
ولا الشياطينُ، ولا الملائكَهْ.
لا أحدٌ يريدُنا.
في المُدُن التي تقايضُ البترولَ بالنساءِ،
والديارَ بالدولارِ، والتُراثَ بالسُجَّادِ،
والتاريخَ بالقُرُوش، والإنسانَ بالذَهبْ..
وشَعْبُها يأكُلُ من نِشَارةِ الخَشَبْ!!

لا أحدٌ يريدُنا . .
في مُدُن المقاولينَ ، والمضارِبينَ ، والمسْتَورِدينَ ،
والمُصدِّرينَ ، والمُلمِّعين جَزْمةَ السُّلْطَةِ ،
والمُثَقّفينَ حَسْبَ المَنْهَجِ الرسميِّ ،
والمُسْتأجَرينَ كي يَقُولوا الشِعرَ ،
والمقشّرينَ اللوزَ ، والتُفّاحَ للملوكِ ،
والمُقدِّمينَ للأمير عندما يأوي إلى فراشِهِ
قائمةً بأجمل النساءِ . .
والموظَّفين في بَلاَط الجِنْسِ . .
والمُهرِّجينَ . .
والمُخنَّثينَ . .
والمُخوِّضينَ في دمائِنَا حتى الرُكَبْ . .

لا أحدٌ يقرؤُنَا
في مُدُن المِلْح التي تَذْبَحُ في العام
ملايينَ الكُتُبْ. .
لا أحدٌ يقرؤنَا
في مُدُنٍ. .
صارتْ بها مباحثُ الدولةِ
عرَّابَ الأدبْ. .

٦

مُسَافرونَ نحنُ في سفينة الأحزانْ
قائدُنا مُرْتَزِقٌ
وشَيْخُنا قُرْصَانْ
مُكوَّمونَ داخلَ الأقفاص كالجُرْذَانْ
لا مرفأٌ يقبلُنا.
لا حانةٌ تقبلُنا.
لا امرأةٌ تقبلُنا.
كلُّ الجوازات التي نحملُها
أصْدَرَهَا الشيطانْ
كلُّ الكتابات التي نكتُبُها.
لا تُعْجِبُ السلطانْ..

مُسَافرونَ خارجَ الزَمَان والمَكَانْ
مُسَافرونَ ضَيَّعوا نقودَهُمْ . .
وضَيَّعوا متاعَهُم، وضيَّعوا أبناءَهُمْ،
وضيَّعوا أسماءَهُمْ، وضيَّعوا انتماءَهُمْ . .
وضيَّعوا الإحساس بالأمانْ
فلا بَنُو هاشمَ يعرفونَنَا، ولا بَنُو قَحْطَانْ
ولا بَنُو ربيعةٍ، ولا بَنُو شَيْبَانْ
ولا بَنُو (لينينَ) يعرفوننا . .ولا بَنُو (ريغانْ) . .

*

يا وَطَني: كلُّ العصافير لها منازلٌ
إلَّا العصافيرَ التي تحترفُ الحريَّهْ
فهيَ تموتُ خارجَ الأوطانْ . . .

جنيف تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥

درسٌ في الرسم

١

يَضَعُ إبني عُلْبَةَ ألوانهِ أَمامي
ويطلُبُ مني أن أرسُمَ لهُ عُصْفُوراً . .
أغطُّ الفرشاةَ باللون الرماديّْ
وأرسُمُ له مربَّعاً عليه قِفْلُ . . وقُضْبَانْ
يقولُ لي إبني، والدَهْشَةُ تملأ عينيْه:
«. . ولكنَّ هذا سِجْنٌ . .
ألا تعرفُ، يا أبي، كيف ترسُمُ عُصْفُوراً؟؟»
أقول له: يا وَلَدي . . لا تُؤاخذني
فقد نسيتُ شكلَ العصافيرْ . . .

٢

يَضَعُ إبني عُلْبَةَ أقلامِهِ أمامي
ويطلُبُ منّي أن أرسمَ له بَحْراً . .
آخُذُ قَلَمَ الرصاصْ،
وأرسُمُ له دائرةً سَوْدَاءْ . .
يقولُ لي إبني :
«ولكنَّ هذه دائرةٌ سوداءُ، يا أبي . .
ألا تعرفُ أن ترسمَ بحراً؟
ثم ألا تعرفُ أن لونَ البحر أزْرَقْ؟ . . »
أقولُ له : يا وَلَدي .
كنتُ في زماني شاطراً في رَسْم البِحارْ
أما اليومَ . . فقد أخَذُوا مني الصُنَّارَةَ
وقاربَ الصيد . .
وَمَنَعُوني من الحوار مع اللون الأزرقْ . .
واصطيادِ سَمَكِ الحرِّية .

٣

يَضَعُ إبني كرّاسَةَ الرَسْم أمامي . .
ويطلبُ منّي أنْ أرسُمَ له سُنْبُلَة قَمحْ .
أُمْسِكُ القلم . .
وأرسُمُ له مسدَّساً . .
يسخرُ إبني من جهلي في فنّ الرسمْ
ويقولُ مستغرباً :
ألا تعرفُ يا أبي الفرقَ بين السُّنْبُلَةِ . . والمُسدَّسْ؟
أقولُ لهُ يا وَلَدي . .
كنتُ أعرفُ في الماضي شكْل السنبلَهْ
وشَكْلَ الرغيفْ
وشَكْلَ الوردَهْ . .

أما في هذا الزَمَنِ المعدنيِّ
الذي انضمَّت فيه أشجارُ الغابة
إلى رجال الميليشْيَاتْ
وأصبحت فيه الوردةُ تلبس الملابسَ المُرقَّطَهْ. .
في زمن السنابلِ المسلَّحهْ
والعصافيرِ المسلَّحهْ
والثقافة المسلّحهْ
والديانةِ المسلّحهْ. .
فلا رغيفَ أشتريه. .
إلا وأجدُ في داخله مسدَّساً
ولا وردةَ أقطفُها من الحقل
إلا وترفع سلاحَها في وجهي
ولا كتابَ أشتريه من المكتبهْ
إلا وينفجرُ بين أصابعي. . .

٤

يجلسُ إبني على طرفِ سريري
ويطلُبُ مني أن أسمعَهُ قصيدَهْ
تسْقُطُ مني دمعةٌ على الوسادَهْ
فيلتقطها مذهولاً . . ويقول :
«ولكنَّ هذه دمعةٌ ، يا أبي ، وليست قصيدَهْ» .
أقولُ له :
عندما تكبُرُ يا وَلَدي . .
وتقرأُ ديوانَ الشعر العربيّْ
سوفَ تعرفُ أن الكلمةَ والدمعةَ شقيقتانْ
وأن القصيدةَ العربيّهْ . .
ليستْ سوى دمعةٍ تخرجُ من بين الأصابعْ . .

٥

يضع إبني أقلامَهُ، وعلبةَ ألوانه أمامي
ويطلب منّي أن أرسمَ له وَطَناً..
تهتزُّ الفرْشَاةُ في يدي..
وأسقُطُ باكياً...

جنيف ٢٠/١/١٩٨٦

مع الوطن.. في زجاجة براندي

عندما أشتاقُ للوَطَنْ
أحملهُ معي إلى خمَّارة المدينَهْ..
وأضعُهُ على الطاولَهْ
أشربُ معه حتى الفجرْ
وأُحَاورُه حتى الفجرْ
وأتَسكَّعُ معه في داخل القِنِّينة الفارغَهْ..
حتى الفجرْ..
وعندما يَسْكرُ الوطنُ في آخر الليلْ..
ويعترفُ لي أنَّه هو الآخرُ.. بلا وَطَنْ..
أُخْرِجُ منْديلي من جيبي
وأمسَحُ دموعَهْ..

كأس ١

عندما أشربُ الكأسَ الأولى
أرسُمُ الوطَنَ دمعةً خضراءْ
وأقلعُ ثيابي..
وأستَحمُّ فيها...

كأس ٢

عندما أشربُ الكأسَ الثانيَهْ
أرسُمُ الوطنَ على شكل امرأةٍ جميلَهْ . .
وأشْنُقُ نفسي بين نَهْدَيْها . . .

كأس ٣

عندما أشربُ الكأسَ الثالثَهْ
أرسُمُ الوطنَ على شكل سجنٍ. .
أقضي به عقوبةَ (الأشعار) الشاقّة المؤبدَّهْ. . .

كأس ٤

عندما تفقد الزُجَاجَةُ ذاكرتَها
أرسُمُ الوطنَ على شكل مِشْنَقَهْ
تتدلّى منها قصائدي في احتفالٍ مَهيبْ
يحضرهُ البابُ العالي . . .
وكلبُهُ السلوقيّْ
ومستشارُهُ السلوقيّْ
ورئيسُ مصلحة السُجُونْ
ورئيسُ مصلحة دَفْن الموتىٰ
ووزيرُ التعليم العالي
ورئيسُ اتّحاد الكُتّابْ
ورئيسُ الكهنة . . وقاضي القُضَاةْ . .
وجميعُ وزراء الدولة الذين عُيِّنوا بمراسيمَ مستعجِلَهْ
ليقتُلُوا الشاعرَ . . ويَمْشُوا في جنازتِهْ . .

من معادلات الحرية

لو أنَّ كلَّ عصفورٍ بحاجةٍ إلى تصريحٍ من وزير
الداخليَّهْ . .
ليطيرْ . .
ولو أنَّ كلَّ سمكةٍ بحاجة إلى تأْشِيرَةِ خروجْ
لتسافرْ . .
لانقرضتِ الأسْمَاكُ والعَصَافيرْ . . .

حزب الحزن

إذا كان الوطنُ منفيّاً مِثْلي . .
ويفكّر بشَراشِفِ أُمّهِ البيضاء مِثْلي . .
وبقطّةِ البيت السوداء، مِثْلي . .
إذا كان الوطنُ ممنوعاً من ارتكاب الكتابة مثلي . .
وارتكابِ الثقافة مِثْلي . .
فلماذا لَا يدخُلُ إلى المِصَحَّة التي نحنُ فيها؟
لماذا لا يكونُ عضواً في حزب الحزنْ
الذي يضمُّ مئةَ مليون عربي؟؟؟

عزفٌ منفردٌ على الطبلة...

١

الحاكمُ يَضْرِبُ بالطَبْلَهْ
وجميعُ وزارات الإعلام تَدُقُّ على ذَاتِ الطبلَهْ
وجميعُ وكالاتِ الأنباء تُضَخِّمُ إيقاعَ الطَبْلَهْ
والصحفُ الكُبْرىٰ.. والصُغْرَىٰ
تعمل أيضاً راقصةً
في ملهى تملكهُ الدولَهْ!.
لا يُوجَدُ صَوْتٌ في المُوسيقىٰ
أرداُ من صَوْت الدولَهْ!!.

٢

الطَرَبُ الرسميُّ يُبَاعُ على العَرَباتْ
مثلَ السَرْدِينِ . .
ومثلَ الخُبْز . .
ومثلَ الشَاي . .
ومثل حُبُوب الحَمْلِ . .
ومثلَ حُبُوب الضَغْطِ . .
ومثلَ غيار السيّاراتْ
الكَذِبُ الرسميُّ يُبثُّ على كُلِّ الموجاتْ . .
وكلامُ السلطة برَّاقٌ جداً . .
كثيابِ الرقَّاصاتْ . . .

لا أَحَدٌ ينجُو من وصْفَات الحُكْمِ ،
وأدويةِ السُلْطَهْ . .
فثلاثُ ملاعقَ قَبْلَ الأكلْ
وثلاثُ ملاعقَ بَعْدَ الأكلْ
وثلاثُ ملاعقَ قَبْلَ صلاة الظُهْرْ
وثلاثُ ملاعقَ بَعْدَ صلاةِ العصرْ
وثلاثُ ملاعقَ . . قَبْلَ مراسيم التشييعِ ،
وقبل دُخُول القبرْ . .
هل ثمّةَ قَهْرٌ في التاريخ كهذا القهرْ؟
الطَبْلةُ تخترقُ الأعصابَ،
فيا ربّي : ألْهِمْنَا الصبرْ . .

٣

الدولةُ تُحْسِنُ تأليفَ الكلماتْ
وتُجيدُ النَصْبَ. . تجيد الكَسْرَ. . تجيدُ الجرَّ. .
تجيدُ استعراضَ العَضَلاَتْ
لا يوجدُ شعرٌ أردأُ من شِعْرِ الدولَهْ
لا يوجدُ كَذِبٌ أذكى من كَذِبِ الدولَهْ. .
صُحُفٌ. أخبارٌ. تعليقاتْ
خُوَذٌ لامعةٌ تحت الشمسِ ،
نجومٌ تبرق في الأكتافِ،
بنادقُ كاذبةُ الطَلَقَاتْ. .
وطنٌ مشنوقٌ فوق حبال الأنتيناتْ
وطنٌ لا يعرفُ من تقنية الحرب سوى الكلماتْ
وطنٌ ما زالَ يذيعُ نشيدَ النَصْرِ على الأمواتْ. .

٤

الدولةُ منذ بداية هذا القرن تعيدُ تقاسيمَ الطبلَهْ
«العدلُ أساسُ المُلْكْ»
«الشُورى ـ بين الناس ـ أساسُ الملكْ»
«الشعبُ ـ كما نصَّ الدستورُ ـ أساسُ الملكْ»
يا ربَّ الكون شبعنا من ضَرْبِ الطَبْلَهْ. .
لا أَحَدٌ يرقُصُ بالكلمات سوى الدولَهْ. .
لا أحدٌ يَزْني بالكلماتِ،
سوى الدولَهْ!!

«القَمْعُ أساسُ الملكْ»
«شَنْقُ الإنسان أساسُ الملكْ»
«حكمُ البوليس أساسُ الملكْ»
«تأليهُ الشَخْص أساسُ الملكْ. . .»
«تجديدُ البَيْعَة للحكّام أساسُ الملكْ»
«وضْعُ الكلمات على الخَازُوقِ
أساسُ الملكْ. . .»
طبلَهْ. . طبلَهْ. .
والسلطةُ تعرض فِتْنَتَها
وحُلاَهَا في سوق الجملَهْ. .
لا يوجد عُرْيٌ أقبحُ من عري الدولَهْ. . .

٥

طَبْلَه . . طَبْلَه . .
وطنٌ عربي تجمعُهُ من يوم ولادته طبلَهْ . .
وتفرّقُ بين قبائله طبلَهْ . .
أفرادُ الجَوْقَةِ، والعلماءُ، وأهلُ الفكر،
وأهلُ الذِكْر، وقاضي البلدة . .
يرتعشونَ على وَقْع الطَبْلَهْ . .
الطَرَبُ الرسميُّ يجيء كساعاتِ الغفلَهْ
من كلِّ مكانْ . .
والطربُ النفطيُّ يحاولُ تسويقَ الإنسانْ
سعرُ البرميلِ الواحدِ أغلى من سعر الإنسانْ

الطربُ الرسميُّ يعادُ كأغنية الشيطانْ
وعلينَا أن نهتزّ إذا غنَّى السلطانْ
ونصيحَ ـ أمامَ رجال الشرطة ـ آهْ . .
آهٍ . . يا آهْ . .
آهٍ . . يا آهْ . .
طَرَبٌ مفروضٌ بالإكراهْ
فَرَحٌ مفروضٌ بالإكراهْ
موتٌ مفروضٌ بالإكراهْ
آهٍ . . يا آهْ . .
هل صار غناءُ الحاكم قُدْسيّاً
كغناء اللهْ؟؟ .

جنيف ١٢ ـ ٢ ـ ٨٦

أحمر.. أحمر.. أحمر..

١

لا تُفَكِّرْ أبداً.. فالضوءُ أحمرْ.
لا تُكلِّمْ أحداً.. فالضوءُ أحمرْ.
لا تُجادِلْ في نُصُوصِ الفِقْهِ، أو في النَحْوِ، أو في الصَرْفِ،
أو في الشعْرِ، أو في النثرِ،
إن العقلَ ملعونٌ، ومكروهٌ، ومُنْكَرْ..

٢

لا تُغَادِرْ قُنَّك المختومَ بالشَمْعِ،
فإن الضوءَ أحمَرْ..
لا تُحِبَّ امرأةً.. أو فَـأْرةً
إن ضوءَ الحبِّ أحمَرْ
لا تُضَاجِعْ حائطاً، أو حَجَراً، أو مَقْعَداً..
إن ضوءَ الجِنْسِ أحمَرْ..

إبقَ سِرِّياً . . ولا تكشفْ قَراراتِكَ حتى لذَبَابَةْ . .
إبقَ أميّاً . . ولا تدخُلْ شريكاً في الزنىٰ أو في الكتابَهْ . .
فالزنىٰ في عصرنا أهونُ من جُرْم الكتابَهْ . .

٣

لا تُفَكِّرْ بعصافير الوَطَنْ
وبأشجارِ، وأنهارِ، وأخبارِ الوطنْ
لا تُفكّرْ بالذين اغْتَصَبُوا شَمْسَ الوطنْ
إن سَيْفَ القمع يأتيكَ صباحاً
في عناوين الجريدَهْ . .
وتفاعيل القصيدَهْ . .
وبقايا قَهْوَتِكْ
لا تَنَمْ بين ذِراعيْ زوجتكْ
إنَّ زوّارَكَ عند الفجر . .
موجودونَ تحتَ الكَنَبهْ . .

٤

لا تُطَالعْ كُتُباً في النَقْد أو في الفَلْسَفَهْ . .
إنّ زُوّارك عند الفجر،
مزروعُونَ، مثل السُوس، في كلِّ رُفُوف المكتَبهْ
إبْقَ في برميلك المملوء نَمْلاً . . وبَعُوضاً . . وقِمَامَهْ
إبْقَ من رجليكَ مشنُوقاً إلى يوم القيامَهْ
إبْقَ من صوتكَ مشنُوقاً إلى يوم القيامَهْ
إبْقَ من عقلك مشنُوقاً إلى يوم القيامَهْ
إبْقَ في البرميل حتى لا ترى
وجهَ هذي الأمة المغتصَبَهْ . .

٥

أنتَ لو حاولتَ أن تذهبَ للسلطانِ،
أو زوجتهِ، أو صِهْره المسؤول عن أمن البلادْ
والذي يأكُلُ أسماكاً . . وتُفّاحاً . . وأطفالاً . .
كما يأكُلُ من لَحْم العبادْ . .
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ . .

٦

أنتَ لو حاولتَ أن تقرأ يوماً
نَشْرَةَ الطقسِ ، وأسماءَ الوفيَّاتِ، وأخبارَ الجرائمْ
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ. .
أنتَ لو حاولتَ أن تسألَ عن سعر دواء الرَبْوِ. .
أو أحذيةِ الأطفالِ . . أو سِعْرِ الطَماطِمْ. .
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ. .
أنتَ لو حاولتَ أن تقرأ يوماً صفحةَ الأبراجِ . .
كي تعرفَ ما حظُّكَ قبلَ النَفْط ، أو حظّكَ بعد النَفْطَ. .
أو تعرفَ ما رَقْمُك ما بين طوابير البهائمْ.
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ. . .

٧

أنتَ لو حاولتَ أن تبحثَ عن بيتٍ من الكرتون يأويكَ . .
أو سيّدةٍ ـ من بقايا الحرب ـ ترضى أن تُسلّيكَ . .
وعن نهديْنِ معطُوبَيْن . . أو ثلاّجةٍ مُسْتَعْمَلَهْ
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ . .
أنت لو حاولتَ أن تسألَ أستاذَكَ في الصفِّ . . لماذا؟
يَتَسلَّى عربُ اليوم بأخبار الهزائمْ؟
ولماذا عَرَبُ اليوم زجاجُ فوقَ بعضٍ يتكسَّرْ؟
لوجدتَ الضوءَ أحمَرْ.

٨

لا تُسافرْ بجوازٍ عربيّْ
لا تُسافِرْ مرةً أخرى لأوروبّا . .
فأوروبّا ـ كما تعلمُ ـ ضاقَتْ بجميع السُفَهَاءْ
أيُّها المنبوذُ، والمشبوهُ، والمطرودُ من كلِّ الخرائطْ
أيها الديكُ الطعينُ الكبرياءْ . .

أيّها المقتولُ من غير قتالٍ
أيها المذبوحُ من غير دماءْ
لا تُسافِرْ لبلاد اللّهِ.. إن اللّهَ لا يَرضى لقاءَ
الجُبَنَاءْ...

٩

لا تسافرْ بجوازٍ عربيّْ.
وانتظر كالجُرْذِ في كلِّ المطاراتِ.. فإن الضوءَ أحمَرْ
لا تقُلْ باللغة الفصحى: أنا مروانُ. أو عدنانُ.
أو سَحْبَانُ..
للبائعة الشقراءِ في (هارُودزَ).
إن الإسمَ لا يعني لها شيئاً..
وتاريخُكَ ـ يا مولايَ ـ تاريخٌ مزوَّرْ..

١٠

لا تُفَاخِرْ ببطولاتكَ في (الليدو) . .
فسوزانُ . . وَجانينُ . . وكوليتُ . .
وآلافُ الفرنسيَّاتِ لم يقرأنَ يوماً
قصَّةَ الزير وعنتَرْ ! !
أنتَ تبدو مُضْحكَاً في ليل باريسَ . .
فعُدْ فوراً إلى الفندقِ . . إن الضوءَ أحمَرْ . . .

١١

لا تُسَافِرْ بجوازٍ عربيٍّ . . بين أحياء العَرَبْ
فهُمُ من أجل قِرْشٍ يقتُلُونَكْ . .
وهُمُ ـ حينَ يجُوعُونَ مساءً ـ يأكلونَكْ
لا تكُنْ ضيفاً على حاتم طَيْ
فهو كذَّابٌ . . ونَصَّابٌ . .
فلا تَخْدَعْكَ آلافُ الجواري . .
وصناديقُ الذَهَبْ . .

١٢

يا صَديقي:
لا تَسِرْ وحْدَكَ ليلاً..
بين أنياب العَرَبْ..
أنتَ في بيتكَ محدودُ الإقامَهْ..
أنتَ في قومكَ مجهولُ النَسَبْ..
يا صَديقي:
رَحِمَ اللهُ العَرَبْ!!!

تزوجتك أيتها الحرية

الكتاب الخامس والعشرون

١٩٨٨

مدخل

لستُ أدري ، ماذا يقولُ الشاعرْ ؟
وهْوَ يَمشي في غَابَةٍ من خَنَاجِرْ . .
أَطلَقوا نارَهُمْ على المُتَنبِّي .
وأراقُوا دماءَ مجنُونِ عَامِرْ .
لو كَتَبْنَا يوماً رسالةَ حُبٍّ . .
شَنَقُونَا على بَيَاض الدَفَاتِرْ
ما بِوُسْع السيَّاف قَطْعُ لساني
فالمَدَى أزْرَقٌ . . وعندي أَظَافِرْ . . .

نـزار

تَزَوَّجْتُكِ . . أَيَّتُهَا الحُريَّة

١

كانَ لديَّ بَلاَطُ نِسَاءٍ
فيهِ جميلاتُ الدُنْيَا . .
فالعربيَّةُ . .
والرُوميَّةُ . .
والتُرْكيَّةُ . .
والكُرْدِيَّهْ . .
كانَ بقَصْري لُعَبٌ صُنِعَتْ في باريسَ
وجَيْشٌ مِنْ قِطَطٍ شَاميَّهْ . . .

٢

كنتُ الرَجُلَ الأوحدَ في التاريخِ . .
فلا أولادَ . . ولا أحفادَ . . ولا ذُرِيَّهْ
كنتُ أميرَ العِشْقِ . .
وكنتُ أُسَافِرُ يوماً في الأحداقِ الخُضْرِ . .
ويوماً في الأَحداقِ العَسَلِيَّهْ . .
كانَ هناكَ العِطْرُ الأَسودُ . . والأمطارُ الأُولى . .
والأَزْهَارُ الوحشيَّهْ . .
كانَ هناكَ عُيُونٌ
تَسْبَحُ مثلَ طُيُور النَوْرَسِ في دَوْرَتيَ الدَمَويَّهْ
كان هناكَ شفَاهٌ مُفْتَرِسَاتٌ كَالأَصْدَافِ البحريَّهْ . .

كانَ هنالكَ سَمَكٌ حَيٌّ تحتَ الإبْطِ ،
وثَمَّةَ رائحةٌ بَحْرِيَّهْ . .
كانَ هناكَ نُهُودٌ تَقْرعُ حَوْلي . .
مثلَ طُبُولٍ إفريقيَّهْ . . .

٣

إنّي قِدّيسُ الكَلماتِ . .
وشَيْخُ الطُرُقِ الصُوفيَّهْ . .
وأنا أَغْسِلُ بالمُوسيقَى وَجْهَ المُدُنِ الحَجَريَّهْ
وأنا الرائي . . والمُسْتَكْشِفُ . .
والمسكونُ بنارِ الشِعْرِ الأبديَّهْ .

كنتُ كمُوسَى . .
أَزْرَعُ فوق مياهِ البَحْر الأحْمَرِ وَرْداً
كنتُ مَسيحاً قبلَ مجيءِ النَصْرَانِيَّهْ .
كلُّ امْرَأَةٍ أُمْسِكُ يَدَهَا . .
تُصْبِحُ زَنْبَقةً مَائيَّهْ . .

٤

كانَ هُنالِكَ . . ألفُ امرأَةٍ في تاريخي .
إلَّا أنّي لم أَتزوَّجْ بين نساءِ العَالمِ
إلَّا الحُرِيَّهْ . . .

سُلالات

مِنْ سُلالاتِ العَصَافِيرِ . . أنا
لا سُلالاتِ الشَجَرْ
وشَرَايِـيني امتدادٌ لشَرَايِـينِ القَمَرْ
إنَّني أخزِنُ كالأسماكِ في عَيْنَيَّ
ألوانَ الصواري ،
ومواقيتَ السَفَرْ .
أنا لا أُشْبهُ إلَّا صُورَتي
فلماذا شَبَّهُوني بعُمَرْ ؟

تَفَرُّد

ما تَتَلْمَذْتُ على شِعْرِ المَعَريِّ ،
ولم أقرأْ تعاليمَ سُليمانَ الحكيمِ
إنَّني في الشِّعْرِ لا آباءَ لي .
فلقد أَلقيتُ آبائي جميعاً في الجحيمِ
من هو الشاعرُ ، يا سيِّدتي ؟
إنْ مَشَى فوق الصراطِ المُسْتَقِيمِ ؟ . .

كانَ الشاعرُ

كانَ الشاعرُ يأكلُ من أوراقِ الوَرْدِ ،
وكانَ ينامُ بأَحضانِ الصَفْصَافْ
ثُمَّ أَتَى عَصْرٌ عربيٌّ
صارَ الشاعرُ فيهِ ،
ينامُ بأَحضانِ السَيَّافْ . . .

لم أُخَطِّطْ

لَمْ أُخَطِّطْ أَبداً . . كي أدخلَ العِشْقَ ،
فتاريخي النِسائيُّ . .
قَضَاءٌ وَقَدَرْ .
كم تَفَاجأتُ بحُبِّ امرأَةٍ
جَعَلَتْني وردةً . .
بعدما كنتُ حَجَرْ .

اللغةُ المستحيلة

الكاتبُ في وطني
يتكلَّمُ كلَّ لُغَاتِ العالمِ ،
إلَّا العَرَبيَّهْ . .
فلدينا لغةٌ مُرْعِبَةٌ
قد سَدُّوا فيها كُلَّ ثُقُوبِ الحُريَّهْ ! !

إكتئاب

ليسَ في ذِهْني جوابٌ واضحٌ
لسؤالاتِكِ ، يا سيِّدتي . . .
كُلُّ ما أعرفُهُ .
أنَّني أَزْدَادُ حُزْناً
حينَ عَيْنَاكِ تزيدانِ اتّساعاً وسَوَادا . .

أنا لا أكتبُ في الغُرْبةِ شِعْراً
إنَّني أنْكُشُ جَمْراً ورَمَادا
ما الذي من لُغَةِ الشاعِرِ يَبْقَى ؟
عندما يستعملُ اللونَ الرَمَادِيَّ مِدَادا .
ما الذي من عُنْفُوانِ الشِعْر يبقى . . عندما
يُصْبحُ الكُرْسِيُّ في المَقْهَى . . بلادَا ؟

القصيدة . . والجغرافيا

فِي بِلادِ الغَرْبِ ، يا سيِّدتي
يُولَدُ الشاعرُ حُرًّاً
مثلما الأَسْمَاكُ في عَرْضِ البِحَارْ
ويُغَنّي . .
بينَ أَحضانِ البُحَيْرَاتِ ،
وأَجْرَاسِ المَرَاعي ،
وحُقُولِ الجُلَّنَارْ .

*

. . . ولَدَيْنَا

يُولَدُ الشاعرُ في كيس غُبَارْ

ويُغَنّي لمُلُوكٍ مِنْ غُبَارِ

وخيولٍ مِنْ غُبَارِ

وسُيُوفٍ مِنْ غُبَارِ .

إنَّها مُعْجِزةٌ . .

أَنْ يصْنَعَ الشِعْرُ من الليلِ نَهَارْ

إنَّها مُعْجِزَةٌ . .

أَنْ نَزْرَعَ الأَزْهارَ ،

ما بينَ حِصَارٍ ، وحِصَارْ . .

❊

نَحنُ لا نكتبُ
ـ مثلَ الشاعر الغَرْبيِّ ، شِعْراً ـ
إنَّما نكتبُ يا سيِّدتي ،
صَكَّ انتحارْ . .

كُتَّابٌ بِلا أَصَابِعْ . .

شُكْراً . . لِمَنْ يَقرؤُنَا
على امتِدادِ هذهِ الخَريطَةِ الرَمْلِيَّهْ
شُكْراً . . لِمَنْ يقْرَؤُنا
فِي الغُرَفِ السِرِّيَهْ
فنحنُ كُتَّابٌ بِلا أَصابِعٍ
وأَنبياءُ دُونَ أَبْجَدِيَّهْ . . .

كاتبان

الكاتبُ الكبيرْ
هو الذي تَنْخُرُ في عظامِهِ
جُرْثُومَةُ الشَجَاعَهْ
والكاتِبُ الصغيرْ
هوَ الَّذي يَبْلَعُ قبلَ نَوْمِهِ
بُرْشَامَةَ القَنَاعَهْ . .

أمّي

رَحْمَةُ اللَّهِ على أُمِّي . .
فقد كانَتْ تُحِبُّ الشامَ ، والماءَ ،
وزَهْرَ الياسَمينْ .
ثُمَّ . . لمَّا رَحَلَتْ
بكَتِ الشامُ عليها
واسْتَقالَتْ بَعْدَها
أَنْهُرُ الشامِ جميعاً
وشُتُولُ الياسَمينْ . . .

عُنْفُوان

فِي المُدُنِ المالحةِ ،
الخَائفةِ ،
المُعَقَّدَهْ . .
يَشْعُر أهلُ العشق بالعَارِ . . وبالهَوَانِ . .
أما أنا . . فحينَ أهوى امْرَأَةً . .
تأخُذُني هِزَّةُ عُنْفُوانِ ! !

إلَّا الكَلِمَهْ . .

لَيسَ هنالكَ حَلٌّ آخَرُ ،
إلَّا الكَلِمَهْ . .
لَيسَ هنالكَ ثَدْيٌ آخرُ قد أَرْضَعَني
إلَّا الكَلِمَهْ . .
لَيسَ هنالكَ وَطَنٌ آخرُ قد آواني
إلَّا الكَلِمَهْ . .
لَيسَ هنالكَ في تاريخي . . امرأةٌ أُخرى
إلَّا الكَلِمَهْ . . .

الخَطُّ الأَحْمَر . .

خلالَ خمسينَ سَنَهْ
عرفتُ أَلفَ امْرَأَةٍ . . وامْرأَةٍ . .
وأَلفَ جسْمٍ رائعٍ
وألفَ نَهْدٍ نافِرٍ . .
لكِنَّني . .
لم أَخْلُطِ النساءَ بالدَفَاتِرِ
والحِبْرَ بالضفائرِ
ورنَّةَ القوافي
برنَّةِ الأقراطِ والأَسَاوِرِ
فَثَمَّ خَطٌّ أَحمرٌ رَسَمْتُهُ
بين العَشِيقَاتِ . . وبين الشَاعِرِ . . .

تَشَبُّث

ليس في وُسْعِكِ ، يا سيِّدتي ، أَنْ تُصْلِحيني . .
فلقد فاتَ القِطَارْ . .
إنَّني قرَّرتُ أن أدخُلَ في حربٍ مع القُبْح ،
ولا رَجْعَةَ عن هذا القَرَارْ .
فإذا لم أستطعْ إيقافَ جيش الرُومِ ،
أَوْ زَحْفِ التتارْ .
وإذا لم أَستطعْ أن أَقتلَ الوَحْشَ . . فحسبي
أَنَّني أَحْدَثْتُ ثُقْباً في الجدارْ . . .

بيانٌ من الشِعْر

إذا كانَ عَصْريَ ليس جميلاً . .
فكيفَ تُريدينني أن أُجَمِّلَ عَصْري ؟
وإنْ كنتُ أجلسُ فوق الخرابِ ،
وأَكتبُ فوق الخرابِ ،
وأَعشَقُ فوق الخرابِ ،
فكيفَ سأُهديكِ باقةَ زَهْرِ ؟

*

وكيفَ أُحِبُّكِ ؟ .

حينَ تكونُ الكِتابةُ رَقْصاً . .

على طَبَقٍ من نُحَاسٍ وجَمْرِ . .

وإنْ كانتِ الأرضُ مَسْرَحَ قَهْرٍ

فكيفَ تُريدينني أَنْ أُصالحَ قَهْري ؟

*

يُريدُ المماليكُ أن يملِكُوني . .

وأن يشربُوا من دمائي وحِبْري

يُريدُونَ رأسَ القصيدَةِ كي يستريحُوا . .

وللشِعْرِ . . والحُبِّ . . فَوَّضتُ أمري .

*

أُحِبُّكِ . . بَرْقاً يُضيءُ حياتي
وقنديلَ زَيْتٍ ، بداخلِ صدري
فكُوني صديقةَ حُرّيتي . .
وكُوني ورائي بكلِّ حُرُوبي
وسيري معي ، تحتَ أقواسِ نَصْري . .

*

إذا كانَ شِعْرِيَ لا يتصدَّى
لِمَنْ يسلَخُونَ جُلُودَ الشُعُوبِ
فلا كانَ شِعْري . . .

حزبُ المَطَرْ

أنا لا أسكنُ في أيِّ مكانٍ
إنَّ عنواني هو اللّامنتظرْ . .
مُبْحراً كالسَمَكِ الوَحْشِيِّ في هذا المَدَى
في دمي نارٌ . . وفي عَيْني شَرَرْ
ذاهباً أبحثُ عن حُرّيةِ الريحِ ،
التي يُتْقِنُها كلُّ الغَجَرْ . .

راكضاً خَلْفَ غَمَامٍ أخْضَرٍ
شارباً بالعين آلافَ الصُوَرْ
ذاهباً . . حتَّى نهاياتِ السَفَرْ . .

*

مُبْحِراً . . نحو فَضَاءٍ آخَرٍ
نافضاً عنِّي غُبَاري
ناسياً إسْمي . .
وأَسْماءَ النَبَاتَاتِ . .
وتاريخَ الشَجَرْ . .

هارباً من هذه الشَمْسِ التي تجلُدُني
بكرابيج الضَجَرْ . .
هارباً من مُدُنٍ نامتْ قُرُوناً
تحت أقدامِ القَمَرْ . .
تاركاً خلفي عُيُوناً من زُجَاجٍ
وسماءً من حَجَرْ . .
ومَضَافَاتِ تميمٍ ومُضَرْ . .

*

لا تقولي : عُدْ إلى الشَّمس . . فإنِّي
أنتمي الآنَ إلى حِزْبِ المَطَرْ . .

صمت

ليس مُهِمًّا أَنْ أَتَكلَّمَ . .
إنَّ الصمتَ جميلٌ جداً . .
مثلَ ملايين الأَحلامْ
إنِّي رَجُلٌ لا يحترفُ الرَقْصَ . . ولا التمثيلَ . .
وليس يُتَاجرُ بالأوهامْ .
فاحْتَمِلِيني . . يا سيِّدتي
حين أكونُ حزيناً ، أو مكتئباً . . أو مُنْطَوياً . .
إنَّ الشعرَ كلامٌ ليس يُشَابهُ أيَّ كلامْ . .

حُلُمٌ قوميّ

ما زلتُ برَغْم صِرَاعِ الإخْوَةِ
أَخْتَرِعُ الأَحلامْ
وأقولُ بأَنَّ اللّهَ . .
سيجمعُ يوماً ما بينَ الأرْحَامْ
جَسَدي يشتاقُ إلى بغدادَ
وقلبي عند نساءِ الشَامْ . . .

وَجْهُكِ مثلُ مطلع القصيدة

وَجْهُكِ . . مثلُ مَطْلَعِ القَصِيدَهْ
يَسْحَبُني . .
يَسْحَبُني . .
كأنَّني شِرَاعْ
ليلاً ، إلى شواطِيءِ الإيقاعْ .

يَفْتَحُ لي ، أُفْقَاً من العَقيقْ
ولَحْظَةَ الإِبْداعْ
وجْهُكِ . . وجهٌ مُدْهِشٌ
وَلَوْحَةٌ مَائيَّةٌ
ورِحْلَةٌ من أبْدَعِ الرِحْلاتِ
بينَ الآسِ . . والنَعْنَاعْ . .

*

وجْهُكِ . .
هذا الدفترُ المفتوحُ ، ما أَجْمَلَهُ
حينَ أراهُ ساعةَ الصَبَاحْ
يحملُ لي القَهْوةَ في بَسْمَتِهِ
وحُمْرةَ التُفَّاحْ . . .

وجْهُكِ . . يَسْتَدْرِجُني
لآخِرِ الشِعْرِ الذي أَعرفُهُ
وآخِرِ الكَلاَمْ . .
وآخِرِ الوَرْد الدِمَشْقِيِّ الذي أُحبُّهُ
وآخِرِ الحَمَامْ . . .

*

وجْهُكِ يا سيِّدتي .
بَحْرٌ من الرُمُوزِ ، والأسئلةِ الجديدَهْ
فهل أعودُ سالماً ؟
والريحُ تَسْتَفِزُّني
والموجُ يَسْتَفِزُّني
والعِشْقُ يَسْتَفِزُّني
ورِحْلتي بعيدَهْ . .

*

وَجْهُكِ يا سيِّدتي .
رسالةٌ رائعةٌ
قَدْ كُتِبَتْ . .
ولم تَصِلْ ، بَعْدُ ، إلى السَمَاءْ . . .

وَطَنٌ بالإيجَارْ

١

كُلَّ نَهَارٍ ،
أَجلِسُ عند صديقي الإيطاليِّ (رُوبِرْتُو)
كُلَّ نَهَارْ .
أَحْمِلُ تخطيطاتِ الشِعْرِ ،
وآكُلُها بَدَلَ الإفْطَارْ . . .
صارَ (رُوبِرْتُو) يعرفُ وجهي
صارَ يقيسُ مساحةَ حُزْني بالأَمتارْ . .

٢

كُلَّ نهارٍ ،
أمشي فوقَ الوَرَقِ اليابسِ ،
كُلَّ نَهَارْ .
أَتَحدَّثُ في لغةِ الأَعشابِ ،
وأَفْهَمُ إِحْسَاسَ الأَشجارْ
كُلَّ نَهارٍ ،
أَصْنَعُ أملاً من ألوانِ الطَيْفِ ،
وأَصْنَع شَعْباً من أزهارْ . . .

كُلَّ نَهَارٍ ،
أَنوِي فيهِ رُكُوبَ البَحْرِ . .
تَقُولُ الشُّرْطَةُ : لا إبحَارْ
كُلَّ نَهَارٍ ،
أَبني وطَناً أَسكنُ فيهِ
فتجرفُهُ الأمطارْ . . .

*

٣

كُلَّ نَهارٍ ،
أَلبسُ ذاتَ المِعْطَفِ ،
أَقْطَعُ ذاتَ الشارِعِ ،
أُشْغِلُ ذاتَ المقعدِ ،
أَطلبُ ذاتَ القَهْوَةِ ،
أَشْري صُحُفاً من بُلْدَانِ الشَرْقِ الأَوسط
لا أَتحمَّسُ كي أفْتَحَها
فالأخبارُ هيَ الأَخبارْ
في القرنِ الأَوَّلِ . . أو في القرنِ العاشِرِ . .
الأَخبارُ هِيَ الأَخبارْ . .

٤

كُلَّ نَهارٍ ،
أجلسُ عند صديقي الإيطاليِّ (رُوبِرْتُو)
كلَّ نهارْ .
أَطلُبُ قَدَحاً من كونياك فَرَنْسَا
أبلعُهُ سَيْفاً من نارْ
أكتُبُ فوق الفُوطَةِ شِعْراً
تبكي منهُ فَتَاةُ البَارْ . . .

٥

كُلَّ نَهَارٍ ،
تجلسُ فوقَ سريري امْرأَةً
تخطُفُها مِنِّي الأَقدَارْ
كلُّ امرَأةٍ تحملُ طفلاً منّي
يَضْرِبُهَا الإعْصَارْ
كلَّ نَهَارٍ ،
أكتُبُ للحريَّةِ شِعْراً
يمنعُهُ حتَّى الأَحرارْ . . .

٦

يا سيِّدتي :
إنَّ النَمْلَةَ تملِكُ وَطَناً .
إنَّ الدُودَةَ تَمْلِكُ وطَناً .
إنَّ الضِفْدَعَ يَمْلِكُ وَطَناً .
إنَّ الفَأرَةَ تَمْلِكُ وَطَناً .
إنَّ الأَرْنَبَ يَمْلِكُ وَطَناً .
والسِحْلِيَّةَ ، والصَرْصَارْ .
وأَنَا مَا مَلَّكَني أَحَدٌ وطناً
ولِذا ، أَسكنُ يا سيِّدتي
وَطَناً بالإِيجَارْ . . .

كتاباتُ على جُدْرَانِ المَنْفَى

١

يا سيِّدتي :
كيفَ أصوِّرُ هذا العصرَ اللاَّمَعْقُولَ ،
نسيتُ الوَصْفَا .
كنتُ أظنُّ الكِلْمةَ بيتي
فإذا بِهِمُ . . سرقُوا البابَ . .
وسرقوا السَقْفَا . .
سَرَقُوا الوَرَقَ الأبيضَ منَّا ،
سَرَقُوا الحَرْفَا .

ماذا نأكُلُ ؟

ماذا نشربُ ؟

كيفَ نُعبِّرُ عن أَنْفُسِنَا ؟

إنَّا نأْكُلُ - يا سيِّدتي - قَمْعَاً

إنَّا نَشْرَبُ - يا سيِّدتي - خَوْفَا

أين سنذهَبُ يا سيِّدتي ؟

إنَّ عبورَ الشارعِ خَطَرٌ .

إنَّ ركوبَ المِصْعَد خطَرٌ .

والسيَّارةُ خَطَرٌ .

والدَّرَاجَةُ خطَرٌ .

والطَّيارةُ خَطَرٌ .

ليس هناكَ مكانٌ
يجلسُ فيهِ الكاتِبُ ،
ليسَ هنالكَ مَقْهَى . .
نِصْفُ الجملة في الجبَّانةِ . .
نِصْفُ الفِكْرة في المُسْتَشْفَى . . .

٢

يا سيِّدتي :
ماذا يبقى من إنْجِيلِ الثَوْرَةِ ،
حينَ تُقرِّرُ قَتْلَ مُغَنِّيها ؟
ماذا يبقى مِنْ كَلِماتِ الثَوْرَةِ ،
حينَ ستَمْضَغُ أكبادَ بَنِيها ؟

ماذَا يَبْقَى ؟

حينَ تخافُ الدولةُ من رائحةِ الوردِ ،

فَتُحْرِقُ كلَّ مَرَاعِيها . .

ماذا يَبْقَى من فَلْسَفَةِ الثَّوْرَةِ ،

حين تخافُ طلوعَ الشَمْسِ ،

وتَنْتُفُ ريشَ كَنَاريها ؟ .

مَاذا يَبْقَى ؟

مَاذا يَبْقَى ؟

مَاذَا يَبْقَى ؟

حين تبولُ الثورةُ فوقَ كَلاَمِ نَبِيِّيها . . .

٣

يا سيِّدتي :

أطلبُ عَفْوَكِ . .

إنْ لم أكتبْ في عَيْنَيْكِ قصيدةَ شِعْرٍ

إنَّ العازِفَ نَسِيَ العَزْفَا .

كيفَ أُحِبُّكِ ، يا سيِّدتي ؟

إنَّ مباحثَ أمْنِ الدولةِ ،

تُلْقي القَبْضَ على الأَحلامِ . .

وتُرْسِلُ أهلَ العِشْقِ إلى المَنْفَى . .

٤

يا سيِّدتي . . يا سيِّدتي
كنتُ قديماً أَقرأُ جِسْمَكِ
سَطْراً سَطْراً . .
حَرْفاً حرْفا . .
كنتُ قديماً أُشْعِلُ في نَهْدَيْكِ النارَ . .
وأزرعُ بينهما سَيْفَا . .
أَمَّا اليومَ . . فأَصْبَحَ شَكْلُ النَهْدِ ،
يُشَابِهُ أسوارَ المَنْفَى . .
يا سيِّدتي . يا لُؤلُؤتي . يا واحِدَتي .
كيفَ أُمارسُ فِعْلَ الحُبِّ . .
وطَعْمُ الجِنْسِ لهُ طَعْمُ المَنْفَى ؟؟

٥

يا سيِّدتي :
كيفَ أُقاومُ هذا العَصْرَ المَمْلُوكيَّ ،
وهذا الحِقْدَ النيرُونيَّ ،
وهذا القَتْلَ المَجَّانِيَّ ،
وهذا العُنْفَا ؟
كيفَ سأُوقفُ هذا المدَّ اللاقوميَّ ،
وهذا الفكرَ التجزيئيَّ ،
وهذا المَطَرَ الكبريتيَّ ،
وهذا النَزْفَا ؟
كيف نُعبِّرُ عن مأزِقِنَا ؟
كيف نُعبِّرُ عمَّا يُكْسَرُ في داخِلِنَا ؟

كيفَ سنتلُو آيَ الذِكْرِ على جُثَّتِنا ؟
إِنَّ مباحثَ أَمْنِ الدولةِ تطلبُ منَّا
أَنْ لا نَضْحَكَ . .
أَنْ لا نَبكيَ . .
أَنْ لا ننطُقَ . .
أَنْ لا نَعْشَقَ . .
أَنْ لا نلمِسَ كفَّ امرَأَةٍ . .
أَنْ لا نُنْجِبَ ولداً . .
أَنْ لا نُرْسِلَ أَيَّ خِطابٍ
أَنْ لا نَقْرَأَ أَيَّ كتابٍ
إلَّا عنْ أَحْوَالِ الطَقْسِ ، وإِلَّا عَنْ أَسرَارِ الطَبْخِ
فتلكَ قَوَانينُ المَنْفَى . . .

٦

يا سيِّدتي :
ماذا أفعلُ لو جاءَتْني أُمِّي في الأَحْلامْ ؟
مَاذا أَفْعلُ لو ناداني فُلُّ دِمشْقَ . .
وعاتَبَني تُفَّاحُ الشَامْ ؟
ماذا أَفْعَلُ لو عَاوَدَني طَيْفُ أَبي ؟
فالتجأَ القَلْبُ إلى عَيْنَيْهِ الزَرْقَاوَيْنِ . .
كسِرْب حَمَامْ . .
يا سيِّدتي :
كيفَ أقولُكِ شِعْراً ؟
كيفَ أقولُكِ نَثْراً ؟
كيف أقولُكِ ، يا سيِّدتي ، دُونَ كلامْ ؟

٧

يا سيِّدتي :
كيفَ أُبَشِّرُ بالحُرِيَّة . .
حينَ الشمسُ تواجهُ حكماً بالإعدَامْ ؟
كيفَ سآكُلُ من خبز الحُكَّام ِ . .
وأولادي من غير طَعَامْ ؟
يا سيِّدتي :
إنِّي رَجُلٌ لم يَتَخَرَّجْ من بَارَات السُلْطَةِ ،
في أَحَدِ الأَيَّامْ . . .
أَو أشْغلتُ وظيفةَ قِرْدٍ . .
بينَ قُرُودِ وزاراتِ الإعلامْ !!

يا سيِّدتي :
إنِّي رجلٌ لا أَتوارَى خَلْفَ حُرُوفي
أوأتخبَّأُ تحتَ عَبَاءَةِ أيِّ إمَامْ . .
يا سيِّدتي : لا تَهْتَمِّي .
فأنا أعرفُ كيفَ أكونُ كبيراً . .
في عَصْرِ الأَقزامْ . . .

*

٨

يا سيِّدتي : لا تَهْتَمّي
سوفَ أَظلُّ أُحِبُّكِ . .
حتَّى أَفْتَحَ نَفَقاً تحتَ البَحْرِ . .
وأثقبَ حيطانَ المَنْفَى .
لا تَهْتَمِّي . .
لا تَهْتَمِّي . .
لا تَهْتَمِّي . .
إِنَّ المَنْفَى في غاباتِ الكُحْلِ الأَسْوَدِ
ليسَ بمنْفَى . . .

لكَيْ أُقِيمَ دولةَ الإنسانْ

لا تَسْأَليني من أنا ؟
وما الَّذي أَفعلُهُ
كي أَتحدَّى الموتَ والزَمَانْ
أنا الذي أسْقَطْتُ ألفَ دولةٍ ودولةٍ
لكيْ أُقيمَ دَوْلَةَ الإنْسَانْ . .

المُشْكِلة

يا سَائلي عن حاجتي
الحمدُ لله على الصحَّة والرغيفْ
وما تقولُ الصُحُفُ اليوميَّهْ . .
عندي صغارٌ يملأون البيتْ
وزوجةٌ وَفيَّهْ .
وفي الخوابي حنطةٌ وزيتْ .
لكنّما مُشْكلتي . .
ليستْ مع الخبز الذي آكُلُهُ
ولا مع الماء الذي أشربُهُ
مُشكلتي الأُولى هي الحُريَّهْ . . .

أطفالُ الحِجَارة

بَهرُوا الدُنْيَا . .
وما في يَدِهِمْ إلَّا الحِجَارَهْ . .
وأَضَاؤوا كالقناديلِ ، وجاؤوا كالبشَارَهْ .
قَاوَمُوا . . وانْفَجَرُوا . . واسْتُشْهِدُوا . . .
وبقينا دُبَباً قُطْبِيَّةً
صُفِّحتْ أجسادُها ضدَّ الحرارَهْ . . .

*

قَاتَلُوا عنَّا . . إلى أن قُتِلُوا . .
وجلسنا في مقاهينا . . كبَصَّاقِ المَحَارَهْ
واحدٌ . . يبحثُ منّا عن تجارَهْ . .

واحدٌ . . يطلبُ ملياراً جديداً . .
وزَوَاجاً رابعاً . .
ونُهُوداً صَقَلَتْهُنَّ الحَضَارَهْ . .
واحدٌ . . يبحثُ في لندنَ عن قصرٍ مُنيفٍ
واحدٌ . . يعملُ سِمْسَارَ سلاحٍ . .
واحدٌ . . يطلبُ في الباراتِ ثارَهْ . .
واحدٌ . . يبحثُ عن عرشٍ ، وجيشٍ ، وإمارَهْ . .

*

آهِ . . يا جيلَ الخياناتِ . .
ويا جيلَ العُمُولاتِ . .
ويا جيلَ النِفَايَاتِ . .
ويا جيلَ الدعارَهْ . .
سوفَ يجتاحُكَ ـ مهما أبطأَ التارِيخُ ـ
أطفالُ الحجارَهْ . .

خَبَرٌ ثقافيّ

هذا بلاغٌ من بَلَاط صاحب الجلالَهْ :

الأَخْضَرِ اليَدَيْنِ . . والمكْتَملِ الصفاتِ . . والمُبَجَّلِ الأَلْقَابْ . .

تَحَسُّسَاً مِن مَلِكِ الملوكْ

بحاجة الشعب إلى العَدالَهْ . .

والخُبْز . . والثيابْ . .

فقد رَسَمْنَا ما يلي :

يُطْلَبُ من وزارة التجارَهْ

أن تمنعَ استيرادَ أيِّما كتابْ

وتُقْنِعَ التُجَّارَ أن يستورِدُوا النِخالَهْ . . .

مَنْ عَلَّمني حُبّاً . . كُنْتُ له عَبْدَا

١

مَنْ علَّمني
كيفَ أُقَشِّرُ كالتُفَّاحةِ قلبي
حتَّى تأكُلَ منهُ نساءُ الأرضِ جميعاً
كنتُ له عَبْدَا . . .

٢

مَنْ عَلَّمني
كيفَ أُؤسِّسُ وطناً
يُشْبِهُ شَكْلَ القلبِ ،
وشَكْلَ الشِرْيَانِ التاجيِّ ،
وشَكْلَ العُصْفُورِ الدُوريِّ ،
وشَكْلَ التُفَّاحِ الشامِيِّ ،
لكنتُ لهُ أيضاً عَبْدَا . . .

٣

مَنْ عَلَّمني
كَيفَ أُحِبُّ امرأةً حتَّى حَدِّ الهَذَيَانِ
مَنْ عَلَّمني
كيفَ بوُسْع امرأةٍ ـ دُونَ سِوَاها ـ
أَنْ تتحرَّكَ مثلَ السَمَكِ الأحمرِ داخلَ شِرْيَاني
مَنْ عَلَّمني
كيفَ بوُسْع امرأةٍ ـ دُونَ سِوَاها ـ
أَنْ تخترعَ الشِعْرَ
وتَرْسُمَ شَكْلَ الأَزْمَانِ . .

مَنْ عَلَّمني
كيفَ تصيرُ امرأةٌ ـ دُونَ سِوَاها ـ
أقوى نَوْعٍ من أنواعِ الإدْمَانِ
مَنْ عَلَّمني ما لا أعْلَمُ
كنتُ له دوماً عَبْدَا . .

٤

مَنْ علَّمني
أوَّلَ دَرْسٍ في أحوالِ الوَجْدْ
مَنْ علَّمني
كيفَ أواصِلُ عِشْقي
منذُ المَهْدِ . . وحتّى اللَّحدْ . .

مَنْ عَلَّمني
أَنْ أَسْتَخْرِجَ ذَهَباً مِن أَوْدِيَة النَهْدْ
مَنْ عَلَّمني أَنَّ حبيبي
نَوعُ من أَعشابِ البحرِ ،
وفَرْعُ من عائلةِ الوَردْ
مَنْ سَمَّاني مَلِكاً في تاريخ العِشْقِ ،
فقد أعطاني كلَّ المجدْ
مَنْ ثَقَّفني . .
مَنْ شَرَّفني بهوى امرأةٍ
كنتُ لهُ دوماً عَبْدَا . . .

٥

مَنْ علَّمني
كيفَ أقولُ كلاماً يُشْبِهُ رائحةَ الحِنْطَهْ
أو يُشْبِهُ لونَ الخُبْز الطالعِ من عند الفَرَّانْ
مَنْ علَّمني
أَنْ أَتزَوَّج هذا الشَعْبَ ،
وأرفُضَ أيَّ زواجٍ بالسُلْطَهْ
وعُقُودَ اللُؤلُؤِ والمَرْجَانْ . .

مَنْ عَلَّمني
كيفَ أُواجهُ بالأزهارِ ، وبِالأَشعارِ ،
هَرَاواتِ الشُرْطَةْ
مَنْ عَلَّمني
أَنْ لا أعملَ سائسَ خيلٍ عند الوالي
أو جاريةً ترقُصُ في حَفَلات (البابِ العالي)
مَنْ علَّمني
أَنْ لا أحنيَ قامةَ شِعْري
كنتُ لهُ دوماً عَبْدَا . .

٦

مَنْ علَّمني
كيفَ أُغَيِّرُ . . كيفَ أُدَمِّرُ . .
كيفَ أُكَنِّسُ هذا القُبْحَ ،
وأُزْرَعُ في الأرض الرَيْحَانْ
مَنْ علَّمني
كيفَ سأُنْقِذُ هذا المركبَ ،
من أَنواءِ البَحْرِ ،
وأسنانِ الجُرْذَانْ
من أعطاني عُودَ ثِقَابٍ
حتَّى أُحرقَ كلَّ أكاذيبِ التاريخ ،
لكنتُ لهُ دوماً عَبْدَا . .

٧

مَنْ عَلَّمني
أَنْ أَنْقضَّ على الأَشياءِ
وأَرْفعَ راياتِ العِصْيَانْ
مَنْ علَّمني
كيفَ أُسافرُ ضدَّ الموجِ . . وضدَّ الريحِ . .
وأُشعلُ في البحر النيرانْ
مَنْ عَلَّمني
كيفَ تكونُ الكِلْمةُ سَيْفاً
في وجهِ السُلْطانْ
من أهداني سِفْرَ الثورةِ ،
كنتُ له دوماً عَبْدَا . .

٨

مَنْ علَّمني
كيفَ أموتُ على أوراقي
حتَّى ينتصرَ الإنسانْ .
مَنْ علَّمني
كيفَ أُكَوِّرُ قلبي مثلَ رغيفِ الخبز ،
لكي أُطعِمَهُ للإنسانْ .

مَنْ علَّمني
كيفَ أُزيلُ الكِلْفَةَ بين كِتَابِ الشِعْرِ ،
وأفواهِ الفُقَراءْ
مَنْ علَّمني
كيفَ أكُونُ بسيطاً
مثلَ العُشْبِ ،
ومثلَ الماءْ . .
مَنْ علَّمني
أنْ أستعملَ لغةً
فيها نَزَواتُ الأَطفالِ . .
وفيها إحسَاسُ البُسَطَاءْ . .

مَنْ علَّمني
أَنَّ الشِعْرَ ، رسالةُ حُبٍّ نكتُبُها للناسِ ،
وليسَ هنالكَ شِعْرٌ لا يتوجَّهُ للإنسانْ .
من علَّمني هذي الحِكْمَة في تعريفِ الشِعْرِ . .
لكنتُ لهُ دوماً عَبْدَا . . .

القصيدةُ .. والغُولْ

١

في هذا الزَمَنِ اللامعقُولْ
أصْبَحنا نجلسُ ـ حتَّى نكتُبَ ـ
بين شفاهِ الغُولْ .
ونُغنِّي .. بينَ عُبُوسِ العَبْدِ الأسودِ ..
والسيفِ المَسْلُولْ ..
لا نعرفُ في أَيِّ اللحَظَاتِ
ستُفْصَلُ عنَّا رَقْبَتُنَا
وبأيِّ لسانٍ سوفَ نَقُولْ ...

٢

في هذا الزَمَنِ المُرْعِبِ . . صار الواحدُ منَّا
يخشى من أدواتِ الأَمْرِ ،
ويخشى من لاءاتِ النَهْيِ ،
ويخشى الفاعلَ والمَفْعُولْ
في هذا الزَمَنِ الأسودِ . .
أصبحَ قولُ الشِعْرِ مغامرةً نحو المَجْهُولْ
لا يُعرَفُ فيها . .
إسْمُ القاتِلِ . . مِنْ إسْمِ المَقْتُولْ . .

٣

في الزَمَنِ اليابِسِ
حيثُ تموتُ عصافيرٌ . . وحُقُولْ
وتموتُ من الإحباطِ خُيُولْ
في زَمَن النَصْرِ الكاذبِ
حيثُ الحربُ زَمَاميرٌ . . وطُبُولْ
في زَمَن الحَمْلِ الكَـاذِبِ . .
والإعْلَامِ الكاذِب . .
والتمثيلِ على الشَّعب المقْهُورْ
في زَمَنِ الكِذْب على ذَقْنِ الجُمْهُورْ . .

في زَمَنٍ
يرفُضُ فيه الشاعرُ مَسْحَ الجُوخ . .
وَسَكْبَ العِطْرِ على جَسَد المسؤُولْ
لا يبقى أَيُّ خيارٍ عند الشاعرِ
إلَّا القبرُ . . أو السَيْلُولْ . .

٤

في هذا الزَمَنِ اللامَعْقُولْ
لا بُدَّ لنا . .
لا بُدَّ لنا . .
لا بُدَّ لنا من قَتْل الغُولْ . .

الجنرال يكتبُ مذكّراته

١

قَاتلتُ بالأَسْنَانْ
كي أحملَ الماءَ إلى قبيلتي
وأَجعلَ الصحراءَ بُسْتاناً من الألوانْ
وأَجعلَ الكلامَ مِنْ بَنَفْسَجٍ
وضِحْكَةَ المرأةِ مِنْ بَنَفْسَجٍ
وثَدْيَها . . قِمَّةَ عُنْفُوانْ . . .

٢

قاتلتُ بالسَيْفِ وبالقصيدَهْ
كي أحمِلَ الحُبَّ إلى مدينتي .
وأغْسِلَ القُبْحَ عن الوُجُوه والجُدْرَانْ
وأجعلَ العَصْرَ أَقَلَّ قَسْوَةً
وأَجْعَلَ البحرَ أشدَّ زُرْقَةً
وأجعلَ الناسَ ينامونَ
على شَراشِفِ الحَنَانْ . .

٣

قاتلتُ عَصْراً كاملاً
كَيْ أُشعلَ النيرانَ في ذاكرتي
وفي ثياب مَنْ تَبقّى من بني عُثْمَانْ .
وأُوقفَ الذُكُورَ عن إرهَابهِمْ
وأُنقذ النِسَاءَ من أقبية السُلْطَانْ
حَفِظتُ للكِلْمةِ كبرياءَهَا
ولم أُسَافِرْ مرَّةً واحدةً
لأمْدَحَ الأَمينَ . .
أَو لأمْدَحَ المأمُونَ . .
أو لأمْدَحَ الخليفةَ النُعْمَانْ . . .

٤

قَاتلتُ خمسينَ سَنَهْ
حتَّى أُقيمَ دولةَ الحُبِّ التي أُريدُها
ودولةَ الإنسانْ .
لكنَّني اكتشفْتُ أَنَّ ما كتبتُهُ
ليس سوى حَفْرٍ على الصَوَّانْ . .

٥

. . . وها أنا ، مِنْ بعد خمسينَ سَنَهْ
تأكُلُني الأحزانْ
لأَنَّ مَنْ حاولتُ أَنْ أَجْعَلَهُمْ آلِهَةً ،
قد تَرَكُوني خَلْفَهُمْ ،
وفضَّلوا عبادَة الشيطَانْ . . .

حوارٌ مع امرأةٍ غيرِ مُلْتَزِمَة

١

غَيِّري الموضوعَ يا سيِّدتي .
ليسَ عندي الوقتُ والأَعصابُ
كي أمضيَ في هذا الحِوَارْ . .
إنَّني في ورطةٍ كُبْرَى مع الدُنيا ،
وإحساسي بِعَيْنَيْكِ كإحساسِ الجدارْ . . .

قَهْوَتي فيها غُبَارٌ .
لُغَتي فيها غُبَارٌ .
شَهْوتي للحُبِّ يكسُوها الغُبَارْ . .
أنا آتٍ من زَمَان الوَجَعِ القوميِّ
آتٍ مِنْ زمانِ القُبْحِ ،
آتٍ مِنْ زَمَانِ الإنكسَارْ .
إنَّني أكتُبُ مثلَ الطائِرِ المَذْعُورِ ،
ما بينَ انفجارٍ . . وانفجارْ . .

هل تظُنّينَ بأَنَّا وَحْدَنا ؟
إنَّ هذا الوطنَ المَذْبُوحَ يا سيِّدتي
واقفٌ خَلْفَ السِتَارْ .
فاشْرَحي لي :
كيفَ أَسْتَنْشِقُ عِطْرَ امرأةٍ ؟
وأنا تحتَ الدَمَارْ .
إشْرَحي لي :
كيفَ آتيكِ بوردٍ أحمر ؟
بعدَ أنْ ماتَ زَمَانُ الجُلَّنارْ . .

٢

غَيِّري الموضوعَ ، يا سيِّدتي .
غَيِّري هذا الحديثَ اللاأباليَّ . .
فما يقتُلُني إلَّا الغَبَاءْ .
سَقَطَ العالمُ من حولكِ أجزاءً . .
وما زلتِ تُعيدينَ مَوَاويلَكِ مثلَ البَبَغَاءْ .
سَقَطَ التاريخُ . والإنسانُ . والعقلُ . .
وما زلتِ تظنّينَ بأنَّ الشَمْسَ
قد تشرقُ من ثوبٍ جميلٍ
أو حِذَاءْ . .

٣

أَجِّلي الحُلْمَ لوقتٍ آخَرٍ . .
فأنا مُنْكَسِرٌ في داخلي مثلَ الإِنَاءْ .
أَجِّلي الشِعْرَ لوقتٍ آخَرٍ . .
ليسَ عندي من قُمَاشِ الشِعْرِ
ما يَكْفي لإِرضَاءِ ملايـينِ النِسَاءْ . .
أَجِّلي الحُبَّ ليومٍ أو ليومَيْنِ . .
لشَهْرٍ أو لشَهْرَيْنِ . .
لعامٍ أو لِعامَيْنِ . .
فَلَنْ تَنْخَسِفَ الأَرْضُ ،
ولَنْ تنهارَ أبراجُ السَمَاءْ . .

هَلْ مِنَ السَهْل احتضانُ امرأةٍ ؟
عندما الغُرْفَةُ تكتظُّ بأجسادِ الضَحايا
وعُيُونِ الفُقَرَاءْ ؟

٤

إقْلِبي الصَفْحَةَ يا سيِّدتي
علَّني أَعثرُ في أوراقِ عَيْنَيْكِ
على نَصٍّ جديدْ .
إنَّ مأساةَ حياتي ، رُبَّما
هيَ أَنّي دائماً أبحثُ عن نَصٍّ جديدْ .

٥

آهِ . . يا سيِّدتي الكَسْلَى
التي ليسَتْ لديها مُشْكِلَهْ . .
يا التي ترتَشِفُ القَهْوَةَ . .
من خَلْف السُتُور المُقْفَلَهْ .
حاولي . .
أَنْ تطرحي يوماً من الأيام بعضَ الأَسْئِلَهْ .
حاولي أَنْ تعرفي الحُزْنَ الَّذي يَذْبَحُني حتَّى الوريدْ . .

حَاولي . . أَنْ تَدْخُلي العصرَ معي .
حَاولي أَنْ تصرَخي . .
أَنْ تغضَبي . .
أَنْ تَكْفُري . .
حاولي . . أَنْ تقلعي أَعْمدَةَ الأرضِ معي .
حاولي أَنْ تَفْعَلي شيئاً
لكي نخرجَ من تحت الجليدْ . . .

٦

غَيِّري صَوْتَكِ . .
أَوْ عُمْرَكِ . .
أو إسْمَكِ . . يا سيِّدتي
لا تكُوني امْرَأَةً محزونةً في الذاكِرَهْ
وَادْخُلي سَيْفاً دمشقيّاً بلحم الخاصِرَهْ
غَيِّري جِلْدَكِ أحياناً . .
لكَيْ يشتعلَ الوردُ ،
وكي يرتفعَ البحرُ ،
وكي يأتي النَشِيدْ . .

٧

أُسْكُتي يا شَهْرَزَادْ .

أُسْكُتي يا شَهْرَزَادْ .

أَنتِ في وادٍ . . وأَحزاني بوادْ

فالذي يبحثُ عن قِصَّة حُبٍّ . .

غيرُ من يبحثُ عن موطِنِهِ تحتَ الرَمَادْ . .

أَنتِ . . ما ضَيَّعتِ ، يا سيِّدتي ، شيئاً كثيراً

وأَنا ضيَّعتُ تاريخاً . .

وأهلاً . .

وبلادْ . . .

أربعُ رسائلَ ساذجة إلى بيروت

الرسالة الأولى

يا أَصدقاءَ الحزن في بيروتْ :
كيفَ هيَ الأحوالْ ؟
نسألكمْ . ونحنُ ندري جيّداً
سَذَاجةَ السُؤَالْ .
نسألكمْ .
ونحنُ كالأيتام في جنازةِ الجَمَالْ .

الرسالة الثانية

يا أَصدقاءَ الجُرْحِ ، في بيروتْ
أَلم تَبيعُوا قَمَراً . . لتشترُوا زلزالْ ؟
أَلم تبيعُوا السُحُبَ الزرقاءَ . .
والقلوعَ . .
والرمالْ . .
أَلمْ تبيعُوا الكَرَزَ الأحمرَ في غاباتكمْ
والزَعْتَرَ البرّيَ . .
والوزَّالْ ؟

أَلم تبيعُوا ؟
شَجَرَ التُفَّاحِ . . والعصفورَ . .
والتنُّورَ . . والشلاَّلْ ؟
أَلَمْ تَبيعُوا كُتُبَ الشِعْرِ التي لَدَيْكُمُ
وضِحْكَةَ الأَطفالْ ؟
أَلمْ تَبيعُوا وَجَعَ النَايَاتِ في جُرُودكمْ
وزُرْقَةَ الموَّالْ ؟
أَلَمْ تَبيعُوا جَنَّةً
كيْ تسكُنوا الأَطلالْ ؟

الرسالةُ الثـالثة

يا أصدقاءَ الشِعْر ، في بيروتْ
أَلَمْ تَبيعُوا آخِرَ النُجُومِ في سمائكمْ ؟
أَلَمْ تَبيعُوا ؟
آخِرَ الحُرُوف في أسمائِكمْ
أَلم تبيعُوا ؟
ما تبقَّى من حُلَى نسائكمْ
أَلم تَبيعُوا البحرْ ؟
ألم تبيعُوا للميليشياتِ التي تجلُدُكمْ
آخرَ خيطٍ من قميصِ الشِعْرْ ؟

الـرسـالـةُ الرابعة

يا أصدقاءَ الصَبْرِ ، في بيروتْ
قُولُوا لنا :
في أيِّ أَرضٍ يزرعونَ الصَبرْ ؟
قُولُوا لنا :
هل ممكنٌ أن تَنْهَضَ الوردةُ من فِراشِها ؟
ويستفيقَ العِطرْ .
هل ممكنٌ أن ترجعَ الحروفُ من غُرْبَتِها ؟
وأن يفيضَ الحبرْ .
هل ممكنٌ أَنْ نستعيدَ عُمْرَنا ؟
من بعد ما هُمْ شَطَبُوا
أَجملَ سَطْرٍ في كِتَابِ العُمْرْ . . .

محاولةٌ تشكيليةٌ لرَسْم بيروت

١

عندما ترجعُ بيروتُ إليْنَا
بالسَلاَمَهْ . .
عندما ترجعُ بيروتُ التي نعرفُها
مثلما ترجِعُ للدار الحَمَامَهْ . .

سوفَ نَرْمي في مياهِ البَحْرِ
أوراقَ السَفَرْ . .
وسنستأجِرُ كُـرْسِيَّـيْنِ في بيتِ القَمَــرْ . .
وسَنَقْضي الوقتَ ،
في زَرْعِ المَوَاويلِ . .
وفي زَرْعِ الشَجَرْ
آهِ . . يا بيروتُ كم أَتْعَبَنا هذا السَفَرْ .
فاغْمُرينا . .
بمكاتيبِ المُحبِّينَ . . اغْمُرينا
بتقاسيم العصافيرِ . . اغْمُرينا
بمزاريبِ المَطَرْ . . .

٢

عندما ترجعُ بيروتُ
التي كانتْ ملاذاً لهوانَا .
والتي قد أورقتْ
فيها من الحُبِّ يَدَانا .
مثلما يرجِـعُ في الفجر الشِرَاعْ .
عندما ترجِـعُ بيروتُ . .
فهل تأخُذُني ؟
يا صديقي ، مرةً أُخرى ،
إلى سَهْل البِقَاعْ .

حيثُ أغلى حُلُمٍ عندي
(عَرُوسٌ من لَبَنْ) . .
آهِ . . كم كانَ بسيطاً
حُبُّ ذَيَّاكَ الزَمَنْ
آهِ . . كم كانَ جميلاً
إنْ يكونَ الحُبُّ إقليماً صغيراً
من أقاليم الوَطَنْ . .

٣

هل من الممَكنِ أن تطلَعَ بيروتُ الجميلَهْ
مرةً أُخرى . .
من الأرضِ الخَرَابْ ؟
هل من الممكن ، أن ينبتَ قمحٌ
في مياهِ البحرِ ،
أو يأتي مع الموجِ كتابْ ؟
هل من الممكن أن نكتبَ شِعْراً ؟
مرةً أُخرى . . على حَبَّةِ لَوْزٍ أَخْضَرٍ
أو على قُطْنِ السَحَابْ ؟

هل لدينا ؟ .
فرصةٌ أُخرى لكي نَعْشَقَ . .
أَم أنَّ العُيُونَ الخُضْرَ صارتْ مُسْتَحيلَهْ ؟
والعيونَ السُودَ صارتْ مُسْتَحِيلَهْ ؟
وإذا عادَ إلينا (شارعُ الحمراءِ)
لو عادتْ إلينا (الرملةُ البيضاءُ)
لو عادتْ لنا . .
(مَنْقُوشَةُ الزَعْتَرِ) . .
و (الكُورنِيشُ) . .
لو عاد لنا (مَقْهَى دُبَيْبُو)
والمشاويرُ الطويلَهْ . .

٤

لو فَرَضْنَا . .
لو فَرَضْنَا . .
أَنَّ بيروتَ الجميلَهْ
نَهَضَتْ من موتها ثانيةً
مَنْ سَيُعطينا مفاتيحَ الطُفُولَهْ ؟

اليوميّاتُ السِرِّيةُ لقصيدةٍ عربيّة

١

إذا سَمِعْنَا شاعراً . .
يقرأ، في أُمْسِيةٍ شِعْرِيَّةٍ، أشعارَه
قُلْنَا لهُ : (أَحْسَنْتَ يا مُطْرِبَنا الكبيرْ) . .
إعْقِدْ على خَصْرِكَ شالاً أحمراً . .
وارْقُص لَنَا ،
آخِرَ ما كَتَبْتَ . . يا شاعرَنا الشهيرْ.
أرْقُصْ لنا . . أرقُصْ لَنَا . .
فنحنُ قَوْمٌ لا يرونَ الفَرْقَ
بين دِقَّة الخَصْرِ . . وبينَ دِقَّة التعبيرْ . .

٢

إذا رأينا شاعراً
يَفْتَحُ فوقَ مِنْبَرٍ شِرْيانَهُ
مُبَشّراً بوردة التغيـيرْ
قُلْنَا لَهُ :
نريدُ أن تُسْمِعَنَا (طَقْطُوقَةً) جديدةً
تُنْقِذُنَا من صَحْوَةِ الضَميرْ
كأنَّما وظيفةُ الشَاعِرِ
أنْ يُخدِّرَ العَقْلَ . .
وأَنْ يُعطِّلَ التفكيرْ . .

٣

إذا رأيْنَا شَاعِراً
يَنْزِفُ من جناحِهِ كطائرِ الكَنَارْ
من أوَّل الليل ، إلى ولادة النَهَارْ
قُلْنَا لَهُ : (ما صَارْ) . .
قُلْنَا لَهُ : (ما صَارْ) . .
لا بُدَّ أن تموتَ فوق أَضْلُعِ القَيْثَارْ
لا بُدَّ أن تموتَ يا مِهْيَارْ
فليسَ في التاريخ من قصيدةٍ عظيمةٍ
لم تَحْتَرِقْ بالنارْ . . .

٤

إذا رأينا شاعراً .
يلفظُ فوقَ منبرٍ أنفاسَهُ
في قاعةٍ . .
تكتظُّ بالسُعَال ، والتصفيقِ ، والصَفيرْ . .
قُلْنَا لَهُ :
أَعِذْ . . أَعِذْ . .
يا صاحبَ الحُنْجُرةِ الحريرْ.

أَعِذْ . . .

أَعِذْ . . .

فما شَبعنَا طَرَباً

ولا اشْتَرَكْنَا ،

في طُقُوس موتِكَ المُثيرْ . .

يا عندليبَ الليلِ . .

يا شاعرَنا الكبيرْ . .

*

٥

. . . ونرفَعُ الكُؤوسَ نَخْبَ الشاعرِ الكبيرْ
وَنَشْرَبُ الويسكيَّ حتَّى الرَمَقِ الأخيرْ
وعندما يَفْرَغُ من وَصْلَتِهِ . . .
نَطْرُدُهُ . .
ونأخُذُ القصيدةَ العَصْمَاءَ للسريرْ. . .

النصائحُ الذهبيَّة . . في أدب الكتابة النفْطيَّة

لو شاءَتِ الأقدارُ أن تكونَ كاتباً
يجلسُ تحتَ جُبَّةِ الصَحافةِ النَفْطِيَّهْ .
فهذه نَصَائحي إليكْ :
١ ـ أُدْخُلْ إلى مَدْرَسَةٍ تُعَلِّمُ الأُمِيَّهْ .
٢ ـ أُكْتُبْ بلا أصابعٍ . . وكُنْ بلا قَضيَّهْ .
٣ ـ إمْسَحْ حِذَاءَ الدولةِ العَلِيَّهْ .
٤ ـ إشْطُبْ من القَامُوسِ كِلْمَةَ الحُريَّهْ .

٥ ـ لا تتحدَّثْ عن شُؤُون الفَقْرِ ، والثورةِ ،
في الشوارعِ الخَلْفِيَّهْ .
٦ ـ لا تَنْتَقدْ أجهزةَ القَمْعِ ، ولا تَضَعْ
أنْفَكَ في المسائلِ القوميَّهْ .
٧ ـ كُنْ غامضاً . . في كلِّ ما تكتُبُ ،
والزَمْ مبدأَ التقيَّهْ .
٨ ـ خَصِّصْ عَمُودَكَ اليوميَّ للأزياءِ . .
والأزهارِ . . والفَضَائحِ الجنسيَّهْ .

٩ ـ لا تتذكَّرْ أنبياءَ القُدْسِ . . أو تُرابَها . .
فإنَّها حكايَةٌ مَنْسِيَّهْ .
١٠ ـ لا تَرثِ بيرُوتَ التي ترمَّلَتْ
فالقتلُ فيها عادةٌ يوميَّهْ .
١١ ـ لا تتعرَّضْ للسلاطين إذا تَعهَّروا . .
أو قَامَرُوا . . أو تاجَرُوا . . فهذه مسألةٌ شخصيَّهْ .
١٢ ـ ولا تَقُلْ لحاكمٍ : إنَّ قِبَابَ قصرِه
مصنوعةٌ من جُثَثِ الرَعيَّهْ . . .

الثُقْب

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عِشْرُونَ عَامْ
ولا نَجْمَ يَسْطَعُ . .
لا أرضَ تَحْبَلُ . .
لا قَمْحَ يطلعُ من تحت هذا الرُكَامْ
ولا غيمةٌ ماطِرَهْ
فهل نسيَ الشارعُ العربيُّ الكلامْ ؟
وصرنا شُعُوباً بلا ذاكرَهْ . .

٢

لماذا الجماهيرُ . .

بين المحيطِ ، وبين الخليجِ ،
تجوبُ الأزِقَّةَ كالقِطَطِ الخائِفَهْ
وأينَ هو الشارعُ العربيُّ
الذي كان يَمْضَغُ لَحْمَ الطُغَاةِ
ويخترعُ العاصِفَهْ ؟
وكيف خرجنا من الحُلُمِ الوحدويِّ الكبيرِ
لندخُلَ ثُقْباً صَغيراً . .
يُسَمُّونَهُ الطائِفَهْ ؟؟؟

٣

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عِشْرُونَ عامْ
ونحنُ وقوفٌ كأعمِدَةِ الكَهرَباءْ
نُحدِّقُ مثلَ البهاليلِ صَوْبَ السَمَاءْ
تمرُّ القطاراتُ من قُرْبِنَا . .
تمرُّ الحضاراتُ من فوقِنا . .
تمرُّ الزلازِلُ من تحتِنَا . .

فلا نتأمَّلُ شيئاً . .
ولا نتعلَّمُ شيئاً . .
ولا نتذكَّرُ شيئاً . .
ولا نتحمَّسُ حينَ مجيءِ الربيعْ
ولا نتأثَّرُ حينَ رحيل الشتاءْ
فلا اللَّهُ يرضى المُكُوثَ لدَيْنَا
ولا الأنبياءْ . . .

٤

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عِشْرُونَ عامْ
وليسَ هنالِكَ مَنْ يطرحُ الأسئِلَهْ
وليس هناكَ مسيحٌ .. ولا جُلْجُلَهْ
ونحنُ هنا ..
نتناسَلُ مثلَ الزواحفِ في الغُرَف المُقْفَلَهْ
فأينَ هو الشارعُ العربيُّ
الذي كان يبصُقُ ناراً ؟
ولا يعرفُ الفَرْقَ بين القصيدةِ والقُنْبُلَهْ ..

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عِشْرُونَ عامْ
ونحنُ توابيتُ مصنوعةٌ من رُخَامْ
نُبَايعُ أيَّ عقيدٍ يجيءُ . .
ونَلْعَقُ جَزْمَة أيِّ نِظَامْ . .
ونلبسُ جِلْدَ النُمُورِ
ونَحنُ حَمَامْ .
ونَزْعُمُ أنَّا جِبَالٌ
ونحنُ نطيرُ بكلِّ اتّجاهٍ
كريشِ النَعامِ . .
كريشِ النَعامْ . .

٥

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مَرَّ عِشْرُونَ عامْ
يحاصرُنا الرُومُ من كلٍّ صَوْبٍ
وليسَ هنالكَ ثأرٌ . .
وليسَ هنالكَ مَنْ يثأرُونْ . .
ويسقُطُ نَخْلُ العراق جريحاً
ولا صوتَ يثْقُبُ أعماقَ هذا الظَلاَمْ
ولا شيءَ يطلعُ من هذه الأرضِ
إلاَّ الطِبَاقُ . . وإلاَّ الجِنَاسُ . .
وإلاَّ ألاعيبُ عِلْمِ الكلامْ . .

ويأكُلُ سُكَّانُ بيروتَ فِئْرَانَهُمْ
وليسَ هنالكَ حُزْنٌ
وليسَ هنالكَ مَنْ يَحزَنُونْ
فأهلُ المَلاَيينِ فوق مَلاَيينهمْ نائمونْ
وأهلُ الخيول الأصيلةِ
فوقَ جَوَاريهِمُ يَرْكَبُونْ . .
وأَهلُ السياسة لا يقرأونَ . . ولا يكتُبُونْ . .
وأهلُ الثقافةِ يلتقطونَ ذُبَابَ المقاهي
وفي موج قهوتهمْ يُبْحِرُونْ
وليسَ لدينَا قصيدةُ شعرٍ
تُريدُ احترافَ الجُنُونْ . . .

٦

لقد مرَّ عِشْرُونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عشرونَ عامْ
ونحنُ نؤسِّسُ حُكْمَ القبيلَهْ
ونُلْغي حُدُودَ الوَطَنْ
ونَرْفَعُ صورةَ شيخ القبيلَهْ
ونعبُدُ في كلِّ يومٍ وَثَنْ .

لقد مرَّ عشرونَ عاماً علينا
لقد مرَّ عِشْرُونَ عَامْ
نسينا بها عَبَقَ الياسمينِ ،
وصَوْتَ المَطَرْ .
تَخافُ العصافيرُ منّا . .
ويَضْجَرُ منَّا الضَجَرْ
إلى أنْ أَخَذْنَا
ـ مع الوقتِ ـ شَكْلَ الحَجَرْ . . .

جرائدُنا . .
تتغرغرُ كلَّ صباحٍ بذات الخبرْ
شوارعُنا . .
تتقيءُ كلَّ مساءٍ ألوفَ الصورْ
وليس هنالكَ
ما يُبهج القلبَ من كلِّ أخبارنا
سوى نبأ . .
عن دخول الميليشياتِ . .
أرضَ القَمَرْ .

٧

لقد مرَّ عِشْرُونَ . .
خَمْسُونَ . .
تِسْعُونَ . .
مليونُ عامْ
وما زلتُ أُغْمِدُ سَيْفي
بلَحْم الظَلامْ
وما زلتُ أُحْرِقُ كلَّ الطُبُولِ ،
وكُلَّ الحُوَاةِ . .
وكُلَّ الخِيَامْ . .

وأَشْهَدُ أَنِّي . .
قَرَأْتُ السَلامَ على كُلِّ أهْلي
ولكنَّهُمْ لم يَرُدُّوا السَلاَمْ .
فهلْ كُنْتُ أقرأُ شِعْري
على كَوْمَةٍ من عِظَامْ ؟؟

السيرةُ الذاتيَّةُ لسيَّافٍ عربيّ

١

أيُّها الناسُ :
لقد أصبحتُ سُلْطاناً عليكُمْ
فاكْسِرُوا أصنامكُمْ بعدَ ضلالٍ ،
واعْبُدُوني . .
إنَّني لا أَتَجَلَّى دائماً
فاجْلِسُوا فوقَ رصيفِ الصَبْرِ ،
حتى تُبْصِرُوني .

أتركُوا أطفالكُمْ من غير خُبْزٍ . .
واتْرُكوا نِسْوَانكُمْ من غير بَعْلٍ
واتْبَعُوني . .
إحْمَدُوا اللَّهَ على نِعْمتِهِ
فلقدْ أرْسَلَني كي أكتُبَ التاريخَ ،
والتاريخُ لا يُكْتَبُ دُوني .
إنَّني يُوسفُ في الحُسْنِ ،
ولم يَخْلُقِ الخالقُ شَعْراً ذهبيَّاً مثلَ شَعْري
وجبيناً نبويّـاً كجبيني . .

وعُيُوني . .
غَابةٌ من شَجَرِ الزَيْتُونِ واللّوْزِ ،
فَصَلُّوا دائماً . . كي يَحْفَظَ اللّهُ عُيُوني .
أيُّها الناسُ :
أنا مَجْنُونُ لَيْلَى .
فابْعَثُوا زَوْجَاتِكُمْ يَحْمِلْنَ منّي
وابْعَثُوا أزواجَكُمْ كي يَشكُروني . . .
شَرَفٌ أن تأكُلُوا حِنْطَةَ جِسْمي
شَرَفٌ أن تقطُفُوا لَوْزي . . وتِيني
شَرَفٌ أنْ تُشْبِهُوني . .
فأنا حادثةٌ ما حَدَثتْ
منذُ آلافِ القُرُونِ . .

٢

أَيُّها الناسُ :
أنا الأوَّلُ ، والأعْدَلُ ،
والأجملُ ، من بين جميع الحاكِمينْ
وأنا بَدْرُ الدُجَى ، وبَيَاضُ الياسَمينْ..
وأنا مخترعُ المَشْنَقَةِ الأُولى . .
وخَيْرُ المُرْسَلينْ . .

كُلَّما فكَّرتُ أن أعْتَزِلَ السُلْطَة ،
يَنْهَاني ضميري . .
مَنْ تُرى يَحْكمُ بَعْدي هؤلاءِ الطيِّبينْ ؟
مَنْ سَيَشْفي بَعديَ . .
الأَعْـرَجَ . .
والأَبْـرَصَ . .
والأَعْـمَـى . .
ومَنْ يُحْيـي عِظَامَ المَيِّتينْ ؟
مَنْ تُرى يُخْرجُ مِنْ مِعْطَفِهِ
ضَوْءَ القمر ؟
مَنْ تُرى يُرْسِلُ للناسِ المَطَرْ ؟

مَنْ تُرَى ؟
يجلدُهُمْ تِسْعينَ جَلْدَهْ . .
مَنْ تُرى ؟
يصلُبُهمْ فوقَ الشَجَرْ . .
مَنْ تُرى يُرغِمُهمْ
أن يَعيشُوا كالبَقَرْ ؟
ويَمُوتوا كالبَقَرْ ؟
كلَّما فكَّرتُ أن أتْرُكَهُمْ
فاضَتْ دُمُوعي كغَمامَهْ
وتوكَّلتُ على اللّهِ . .
وقرَّرتُ بأنْ أركبَ الشَعْبَ . .
مِن الآنَ . . إلى يوم القِيامَهْ . .

أيُّها الناسُ :
أنا أَمْلِكُكُمْ
مثلما أمْلِكُ خَيْلي . . وعَبيدي . .
وأَنا أمشي عليكُمْ
مثلما أمشي على سُجَّاد قَصْري . .
فاسْجُدوا لي في قِيامي
واسْجُدُوا لي في قُعُودي
أَوَلَـمْ أعثَرْ عليكُمْ ذاتَ يومٍ
بينَ أوراقِ جُدُودي ؟؟

حاذِرُوا أن تقرأوا أيَّ كتابٍ
فأنا أقرأُ عنكمْ . .
حاذِرُوا أن تكتُبُوا أيَّ خطابٍ
فأنا أكتُبُ عنكُمْ . .
حاذِرُوا أن تَسْمَعُوا فَيْرُوزَ بالسرِّ . .
فإنّي بِنَوايَاكُمْ عليمْ
حاذِرُوا أن تُنْشِدُوا الشِعْرَ أمامي
فهو شيطانٌ رجيمْ
حاذِرُوا أن تدخُلُوا القَبْرَ بلا إذْني ،
فهذا عندنا إثْمٌ عظيمْ
والزَمُوا الصَمْتَ، إذا كلَّمتكُمْ
فكلامي هو قرآنٌ كَريمْ . .

٤

أَيُّها الناسُ :
أَنَا مَهْدِيُّكُمْ، فانْتَظِرُوني !
ودمي ينبُضُ في قَلْب الدَوَالي . .
فاشْرَبُوني .
أُوقفوا كلَّ الأناشيد التي يُنْشِدُها الأَطفالُ
في حُبِّ الوَطَنْ .
فأنا صِرْتُ الوَطَنْ . . .

إنَّني الواحِدُ . .
والخالدُ . . ما بينَ جميع الكَائنات
وأنا المَخْزُونُ في ذاكرةِ التُفَّاحِ ،
والنَايِ ، وزُرْقِ الأُغْنِيَاتِ
إرْفَعُوا فوقَ الميادين تَصَاوِيري
وغَطُّوني بغَيْم الكَلِمَاتِ . .
واخْطُبُوا لي أَصْغَرَ الزَوْجَاتِ سِنّاً . .
فأنا لَسْتُ أشِيخْ . .
جَسَدي ليسَ يَشِيخْ . .
وسُجُوني لا تَشيخْ . .
وجهازُ القَمْعِ في مملكتي ليسَ يَشيخْ . . .

أَيُّها الناسُ :
أنا الحجَّاجُ . إنْ أنْزَعْ قِنَاعي ، تَعْرِفُوني
وأنا جنكيزُخانٍ جِئتُكُمْ . .
بِحرَابي . .
وكِلابي . .
وسُجُوني . .
لا تَضيقُوا ـ أيُّها الناسُ ـ ببَطْشِي
فأنا أقتُلُ كي لا تقتُلُوني . .
وأنا أشْنُقُ كَيْ لا تشنُقُوني . .
وأنا أدْفُنُكُمْ في ذلكَ القَبْر الجَمَاعيِّ
لكَيْلا تَدْفُنُوني . . .

٥

أيُّها الناسُ :
اشْتَرُوا لي صُحُفاً تكْتُبُ عنِّي . .
إنَّها معرُوضَةٌ مثلَ البَغَايا في الشَوارِعْ
إشْتَرُوا لي . . .
ورَقاً أخْضَرَ مَصْقُولاً كأعْشَابِ الربيعْ
ومِدَاداً . . ومَطَابعْ . .
كلُّ شيءٍ يُشْتَرى في عصرنَا
حتَّى الأصابعْ . .

إشْتَرُوا فاكِهَةَ الفِكْرِ . .
وخَلُّوهَا أَمَامي .
واطْبُخُوا لي شاعراً
واجْعَلُوهُ ، بينَ أطباقِ طَعَامي . . .
أنا أُمِيٌّ . . .
وعندي عُقْدَةٌ ممّا يقولُ الشُعَراءْ
فاشْتَرُوا لي شُعَراءً يتغنُّونَ بحُسْني . .
واجْعَلُوني نَجْمَ كُلِّ الأَغْلِفَهْ
فَنُجُومُ الرَقْصِ والمسرحِ ،
ليسُوا أبداً أجْمَلَ مني . .

إشْتَرُوا لي كُلَّ ما لا يُشْتَرَى
في أرضِنَا أو في السَمَاءْ
إشْتَرُوا لي . .
غَابَةً من عَسَل النَحْلِ . .
ورَطْلاً من نِسَاءْ . .
فأنا بالعُمْلةِ الصعبةِ أشْري ما أُريدْ
أشْتَري ديوانَ بَشّارِ بْنِ بُرْدٍ
وشِفَاهَ المُتَنبِّي . .
وأناشيدَ لَبيدْ . .

فالملايـينُ التي في بيت مالِ المُسْلِمينْ
هي ميراثٌ قديمٌ لأبي .
فَخُذُوا مِنْ ذَهَبي .
واكْتُبُوا في أُمَّهَاتِ الكُتُبِ .
أنَّ عَصْرِي . .
عصرُ هَارُون الرَشِيدْ . . .

٦

يا جماهيرَ بلادي :

يا جماهيرَ الشُعُوب العربيَّهْ

إنني روحٌ نقيٌّ . . جاء كي يغسلَكُمْ من غبار الجاهليَّهْ

سَجِّلُوا صوتي على أشرطةٍ . .

إنَّ صوتي أخْضَرُ الإيقاع كالنافُورة الأندلسيَّهْ

صَوِّروني . . باسماً مثل (الجُوكُونْدَا) !

ووديعاً مثلَ وجه المَجْدليَّهْ . .

صوِّروني . .

بوقاري ، وجلالي ، وعصايَ العسكريَّهْ

صوِّروني . .

وأنا أقطعُ ـ كالتُفَّاح ـ أعناقَ الرعيَّهْ . . .

صَوِّروني .
وأنا أَصْطَادُ وَعْلاً . . أو غَزَالاً
صَوِّروني . .
وأنا أفترسُ الشِعْرَ بأَسْنَاني
وأمتصُّ دماءَ الأَبْجَديَّهْ
صوِّروني .
عندما أحملكُمْ فوقَ أكتافي لدارِ الأبَديَّهْ ! !
يا جماهيرَ بلادي . .
يا جماهيرَ الشُعُوبِ العَرَبِيَّهْ . . .

٧

أيُّها الناسُ :
أنا المسؤولُ عن أحلامكمْ ، إذْ تحلُمُونْ
وأنا المسُؤولُ عن كلِّ رغيفٍ تأكُلُونْ
وعن الشِعْرِ الذي
ـ من خلف ظَهْري ـ تقرأُونْ
فجهازُ الأَمْنِ في قَصْري
يُوافيني بأخبارِ العصافيرِ . .
وأخبارِ السَنَابلْ .
ويُوافيني بما يَحْدُثُ في بَطْن الحَوَامِلْ ! ! .

٨

أيُّها الناسُ :
أنا سَجَّانُكُمْ. وأنا مَسْجُونكُمْ . .
فَلْتَعْذُرُوني .
إنَّني المَنْفِيُّ في داخل قَصْري
لا أرى شمساً . . ولا نَجْماً . .
ولا زَهْرَةَ دِفْلَىٰ . .
منذُ أنْ جِئْتُ إلى السُلْطَةِ طِفْلا
وَرجالُ السيركِ يلتفُّونَ حَوْلي
واحدٌ يَنْفُخُ نايَاً . . .
واحدٌ يَضْربُ طَبْلاَ . . .
واحدٌ يَمْسَحُ جُوخاً . . .
واحدٌ يَمْسَحُ نَعْلا . . .

منذُ أن جئتُ إلى السلطة طِفْلاَ . .
لم يَقُلْ لي مستشارُ القَصْر : (كَلاَّ) .
لم يَقُلْ لي وُزَرَائي أبداً لَفْظَةَ (كَلاَّ) .
لم يَقُلْ لي سُفَرَائي أبداً في الوجه (كَلاَّ) .
لم تَقُلْ إحدى نسائي في سرير الحُبِّ (كَلاَّ) .
إنَّهُمْ قد عَلَّمُوني أن أرى نفسي إلَهاً . .
وأرى الشَعْبَ من الشرفة رَمْلاَ . . .
فاعْذُروني . . إنْ تحوَّلْتُ لهولاكُو جديدٍ
أنا لم أقْتُلْ لوجه القتلِ يوماً . .
إنَّما أقتلكُمْ . . . كَيْ أتَسَلَّى . . .

الكَلِمَاتْ . . بينَ أسنان رجال المُخَابَراتْ . .

١

وأخيراً . . شَرَّفُوني .
كان قلبي دائماً يُنْبِئُني . .
أَنَّهُمْ آتونَ . . .
كي يعتقلوا الكِلْمَةَ . . أو يَعْتَقِلُوني . .
ولِذَا . . ما فاجأُوني .
كَسَرُوا أبوابَ بيتي في جنيفٍ
لَوَّثوا ثَلْجَ سويسرا . .
ومراعيها . . وأسرابَ الحَمَامْ . .
وتَحدَّوا وطنَ الحُبِّ، وإنجيلَ السَلاَمْ .

وَضَعُوا شِعْري بأكياسٍ . .
فهلْ شاهَدْتُمُ ؟
دولةً تَسْرُقُ عِطْرَ اليَاسَمينِ
يا لها مِنْ غَزْوَةٍ مُضْحِكةٍ
سرقُوا حِبري ، وأوراقي ، ولَمْ . .
يسرُقُوا النارَ التي تحت جَبيني
إنَّني أَسكنُ في ذاكرة الشَعْبِ . .
فَمَا هَمَّ . . إذا هُمْ سَرَقُوني؟؟ . . .

٢

واخيراً . . دَخلُوا غُرْفَةَ نومي . .
واسْتَبَاحُوا حُرُمَاتي
بَعْثَرُوا أغْطِيتي . .
شَمْشَمُوا أحْذِيَتي . .
فَتَحُوا أدْوِيَتي . .
دَلَقُوا مَحْبَرتي . .
رَقَصُوا فوقَ بياضِ الصَفَحَاتِ .
غَزْوةٌ تافهةٌ جدّاً . . ككُلِّ الغَزَوَاتِ
أيُّ عَصْرٍ عَرَبيِّ ؟
ذلكَ العصرُ الذي أفْتَى بِقَتْلِ الكَلِمَاتِ ؟

أيُّ عَصْرٍ مَعْدَنيّ ؟
ذلكَ العَصْرُ الذي يَفْزَعُ من صوت العصافيرِ،
وشَدْوِ القُبَّراتِ .
أيُّ عَصْرٍ لا يُسمَّى ؟
ذلك العصرُ الذي يَحْبِسُنَا
خلفَ أَسْوار اللُّغَاتِ .
أيُّ عَصْرٍ ماضَويّ . . فَوْضَويّ . . بَدَويّ . .
قَبَليّ . . سُلْطَويّ . دَمَويّ ؟ .
ذلك العصرُ الذي يُطْلِقُ النارَ عَلَيْنا
ثُمَّ يرمي جُثَثَ الكُتّابِ . .
في قَعْر الدَوَاةِ؟؟

٣

وأخيراً . . بَلَّغُوني . .
أَنَّهُمْ كانُوا هُنَا . .
فلماذا بَلَّغوني ؟
إنّني أعرِفُ بالفِطْرَةِ أصواتَ بساطيرِ العَسَاكِرْ. . .
وأنا أعرفُ بالفِطْرَةِ ،
أوْصَافَ، وأَحْجَامَ، وأسماءَ الخَنَاجِرْ. .
جَهَّزوا جيشاً خُرافيَّاً
لكي يَقْتَحِمُوا عُزْلَةَ شَاعِرْ. .
تَرَكُوا خَلْفَهُمُ الرُومَ. . لكيْ
يُعْلِنُوا الحَرْبَ على ريشةِ طَائِرْ. .

قَدِمُوا من آخِرِ العَالَمِ ،
حتَّى يسرُقُوا بَعْضَ الدَفاترْ . .
آهِ . . كَمْ هُمْ أغبيَاءْ .
حينَ ظنُّوا أنَّهُمْ
يَقْتُلُونَ الشِعْرَ إنْ هُمْ قَتَلُوني . . .
لم أكُنْ أعرفُ ما حَجْمي . .
إلى أَنْ هاجَمُوني ذاتَ لَيْلَهْ . .
فتأكَّدتُ بأنّي . .
شاعرٌ يُرْعِبُ دَوْلَهْ . . .

٤

وأخيراً . . شَرَّفُوني
لم يكونُوا مِنْ بلادِ البَاسكِ . .
أو من جيشِ إيْرلَنْدَا . .
ولا هُمْ من عِصَاباتِ شيكاغُو . .
إنَّني أعرِفُ مَنْ هُمْ غُرَمَائي . .
فلماذا أرْسَلُوا خَلْفي كلابَ الصَيْد كي تَنْهَشَني؟
هل كلابُ الصَيْدِ صارتْ . .
تَتَسلَّى عندنا في أكْلِ لَحْمِ الشُعَراءِ؟؟
إنَّهُمْ يدرون أنَّ الشِعْرَ عندي . . هو فَنُّ الكِبْرِيَاءِ
وهُمُ يدرونَ أنْ لا أحداً نَفَضَ الغَبْرَةَ عَنْ كَعْبِ حِذَائي . .
وهُمُ يَدْرُون أنّي . .
لم أُقَدِّمْ لسوى اللّهِ وَلَائي . . .

٥

وأخيراً . . شَرَّفُوني .
حاولوا أن يَفْتَحُوا ثُقْبَاً بتاريخي
وأَنْ يكْسِرُوا أنفَ غُرُوري .
نَبَشُوا أَصْلي . وفَصْلي . وجُذُوري .
نَثَرُوا قُطْنَ مِخَدَّاتي . . وناموُا في سَريري .
قَرَأُوا كلَّ رِسَالَهْ . .
وبيانَاتِ المَصَارفْ .
بَحثُوا عن بئر نَفْطٍ . . كُنْتُ قد خَبَّأتُهُ تحتَ الشَرَاشِفْ ! !
حَاوَلُوا أن يَجدوني واقفاً في طوابير العَمَالَهْ . .
أَعَميلٌ أجنبيٌّ ؟ بَعْدَما حَفَرَ الحُزْنُ دُرُوباً في جَبيني
أَعَميلٌ أجنبيٌّ ؟ . بعدَما قدَّمْتُ رُوحي . .
للمَلَايِينِ . . وقَدَّمْتُ عُيُوني . . .

٦

حَاوَلُوا أن يُمْسِكُوني . .
وأنا أرهُنُ في السوق السياسيِّ، ثيابي . .
حَاوَلُوا أن يضبِطُوني . .
وأنا أقْبَضُ أتعابي على بَيْتٍ من الشِعْر كَتَبْتُهْ . .
أو يُسمُّون إماماً واحداً كنتُ قَصَدْتُهْ . .
حَاوَلُوا أن يَجدُوا لي صورةً، وأنا أرقُصُ في ديوانِ كِسْرىٰ
أو أصبُّ الخَمْرَ في عُرْسِ ثريٍّ . . أو أميرِ . .
لم أكُنْ يوماً من الأيَّامِ طَبَّالاً . .
ولا زوَّرْتُ شِعْري . . وشُعُوري . .
كانَ شِعْري دائماً أكْبَرَ من كلِّ كبيرِ . .
ليسَ عندي ذَهَبٌ . . أو فِضَّةٌ . .
فرصيدي هو قلبي . . وضميري . . .

جنيف ١٥ ـ ١٠ ـ ٨٧

ثورةُ الدجاج

نحنُ دَجاجُ القَيْصَرِ . .
نأكُلُ قَمْحَ الخَوْف ،
ونشربُ من أمطار المِلْحْ
كلَّ نهارٍ . .
يأتينا البوليسُ قُبَيْل صلاة الصُبحْ
يَسْتَجْوبُنا . .
ويهدّدُنا . .
ويُعلّقنا . .
بين السيفِ . . وبين الرُمحْ .

*

نحنُ دَجاجُ القيصرِ . .
يعلفُنا في فصل الصيفِ ،
ويذبحُنا في عيد الفصحْ . . .

المحضر الكامل لحادثة اغتصاب سياسية

١

سامحُونا . .
إن شَتَمْنَاكُمْ قليلاً . . واسْتَرَحْنَا
سامحُونا إنْ صَرَخْنا . .
كتُبُ التاريخ لا تعني لنا شيئاً
وأخبارُ عَليٍّ . . ويزيدٍ . . أتْعَبَتْنا . . .

إنَّنا نبحثُ . .
عمّنْ لا يزالون يقولونَ كلاماً عربيّاً
فوجدنا دولاً من خَشَبٍ . .
ووجدنا لغةً من خَشَبٍ . .
وكلاماً فارغاً من أيِّ معنى
سامحُونا . .
إنْ قطعنا صلةَ الرَحْم التي تربطُنا . .
سامحونا إن فَعَلْنا . .

٢

سامحُونا

ـ أيُّها السادةُ ـ إن نحنُ جُنِنّا

ألفُ دجّالٍ على أكتافنا

إسْتَبَاحُوا دَمَنا منذ وُلِدْنَا

ألفُ بوليسٍ على أوراقنا . .

يُطلقُونَ النارَ . . لكنْ ما سَقَطْنَا . .

حاولوا أن يقطعوا أرجُلَنا

كي يُعيقوا الزَحْفَ . . لكنَّا وَقَفْنَا . .

قَطَعُوا الأيدي . لكي لا نُمْسِكَ الأقلامَ ،

لكنَّا كَتَبْنَا . .

حاولوا أن يُقنعونا . .

أنَّ قولَ الشعر كفرٌ . . فكَفَرْنَا . .

٣

سامحُونا . .
إن قتلنا مرةً آباءَنا . .
وشككنا في روايات أبي زيدِ الهلاليِّ
وفي شخصية الزِير . . وفي عَنْتَرةٍ . .
سامحُونا إن شككنا . .
في نُصُوص الشعر والنثر التي نحفظُها
وحديثِ السيفِ . . والرمحِ . . وفي (كانَ) و(كُنَّا) . . .
سامحُونا إنْ هربنا . .
من بني صخرٍ . . وأوْسٍ . .
ومَنَافٍ . . وكُلَيْبٍ . .
سامحُونا إن هربنا . .

ما شربنا مرةً قهوتَهُمْ
إلّا اخْتَنقنا . .
ما طلبنا مرةً نَجْدَتَهُمْ
إلّا خُذِلْنَا . .
إنَّ تاريخَ ابنِ خلدونَ اختلاقٌ
فاعذُرونا . .
إن نسينا ما قرأنا . . . .

٤

سامحُونا . .
إن دخلنا قصرَكُمْ من غير إذْنٍ
ودخلنا حجرةَ العَرْش . . وقاعاتِ المرايا . .
وشممنا عَبَقَ الأجساد في كُلِّ الزوايا
ورأينا كيف في ثلاَّجة السلطانِ،
يبقى طازَجاً لحمُ السَبَايا . .
سامحُونا . .
إن تعدّينا على أملاككُمْ
وعتقنا العدَدَ الأكبرَ من زوجاتكُمْ
سامحُونا إن خجلنا . .
وكرهنا نفسَنا . . وكرهنا جلدَنا . .
ونحرناكمْ جميعاً . . وانْتَحَرْنا . . .

٥

سامحُونا . . .
إن قطعنا مرةً سَكْرَتَكُمْ
وسرقناكُمْ من الويسكيِّ يوماً
وفتحنا جُرْحَنَا . .
سامحُونا . . إن سرقناكُمْ من (الفيديو) قليلاً
كي نريكُمْ موتَنا . .
إنّنا نسألُ عن شخصٍ يُسمَّى المُتنبّي
كان في يومٍ من الأيام عصفورَ العَرَبْ
فعرفنا أنه مات على أيدي المباحثْ
ووجدنا طَلْقَةً في رأسِهِ . .
ووجدنا طَلْقَةً في حَلْقِهِ . .
ووجدنا طَلْقَةً في قلبهِ . .
ووجدنا طَلْقَةً ثانيةً في قلبِنا . .

٦

سامحُونا
إن تعدَّيْنَا على عُذْريَّة الدولة يوماً
واغْتَصبنَاها بشكلٍ همجيٍّ . .
واسْتَرَحْنا . .
وعَضَضْنَاها كذئبٍ من يَدَيْها
ولَعَنَّا والِدَيْها . .
وأمـرنا الشعبَ أن يـأكلَ لحمـاً طازجـاً من ناهِـدَيْهـا . .
سامحُونا
إن تجاوزنا اللياقاتِ قليلاً . .
وتصرّفنا كأطفالٍ جياعٍ . .
وشربنا من دم الدولة أنهاراً . . .
ونِمْنَا . . . .

٧

سامحُونا . .

إن تبوّلنا على كلّ التماثيل التي تملأ ساحاتِ المدينَهْ . . .

وعلى كلّ التصاوير التي ألصقها البوليسُ ـ بالغَضْب ـ

على كلٍّ حوانيت المدينَهْ . .

وعلى كلٍّ الشعارات التي يقذفُها بالطوبِ . . أطفالُ المدينَهْ .

سامحُونا . .

إن تجمَّعنا كأغنامٍ على ظهر السفينَهْ . .

وتشرّدنا على كل المحيطات سنيناً . . وسنينا . .

لم نجد ما بين تُجَّار العَرَبْ . .

تاجراً يقبلُ أن يعلفَنا . . أو يشترينا . .

لم نجدْ بين جميلات العَرَبْ . .

مَرْأَةً تقبلُ أن تعشقَنا . . أو تَفْتَدينا

لم نَجدْ ما بين ثُوَّار العَرَبْ

ثائراً . . لم يُغْمِدِ السِكّينَ فينا . . .

٨

سامحُونا . .
سامحُونا . .
إن رفَضْنَا كلَّ شيءٍ . .
وكَسَرْنا كلَّ شيءٍ . .
واقْتَلَعْنَا كلَّ شيءٍ
ورمينا لكُمُ أسماءَنا
فالبوادي رفَضَتْنا . . والمواني رفَضَتْنا
والمطاراتُ التي تستقبل الطيرَ صباحاً ومساءً . . رَفَضَتْنا
إنَّ شمسَ القمع في كل مكانٍ . . أحرَقَتْنا . .
سامحُونا . .
إن بَصَقْنَا فوق عصرٍ ما له تسميةٌ
سامحونا إن كَفَرْنَا . . .

الكبريت في يدي

ودويلاتكم من ورق

الكتاب السادس والعشرون

١٩٨٩

مدخـــل

أُحَاوِلُ منذ البِدَاياتِ،
أنْ لا أكونَ شبيهاً بأيٍّ أَحَدْ. .
رَفَضْتُ الكلامَ المُعَلَّبَ دوماً
رفضتُ عبادةَ أيِّ وَثَنْ. .
أُحَاولُ إحْرَاقَ كُلِّ النُصُوصِ التي أَرْتَديها
فبعضُ القصائد قَبْرٌ
وبعضُ اللُغَاتِ كَفَنْ. . . .

جنيف ٢٥/١/١٩٨٩

إنّني محظوظٌ، لأنَّ أعدائي يتجدَّدون . .

آلِان روب غرييه

الكتابةُ مهنةٌ بلا سنّ تقاعدي.
قد تجد عاملاً متقاعداً، أو عسكرياً متقاعداً،
أو موظفاً متقاعداً..
لكنني لا أعتقد أنه قد مرَّ في التاريخ
كاتبٌ متقاعد، أو فَنَّانٌ متقاعد...

غابرييل غارثيا ماركيز

إنني كتلةٌ هائلةٌ من الشظايا
ثم تأتي الريحُ، وتجمعُني. . .

بيكاسو

أعذروني، أيُّها السادة.
إنّني سمكةٌ وحشيَّة
داخلَ زجاجة حبرْ. .

ألبرتو مورافيا

هناكَ بلادٌ. . .

هناكَ بلادٌ تخافُ على نَفْسِها
من هديلِ الحَمامِ،
وقَهْقَهةِ الريحِ بينَ الشَجَرْ.
وتَسْتَنْفِرُ الجيشَ
برّاً . . وبَحْراً . . وجوّاً . .
لكي يَسْتَعِدَّ لقَتْلِ القَمَرْ. . .
هناكَ بلادٌ
تُشَرِّعُ أبوابَها للبَغَايا
وترفُضُ أن تَمْنَحَ الشِّعْرَ،
تأشيرةً للسَفَرْ. . . .

هناك بلادٌ . . يُشيدُ السلاطينُ فيها
ألوفَ الجوامِعْ .
ولا يقطعونَ فُرُوضَ الصَلاَةِ،
ولكنَّهُمْ يقطعونَ الرقابَ
ويقتلعونَ الأصابعْ
هناكَ بلادٌ . .
يخافُ الخليفةُ فيها على نفسِهِ
من حوار المقاهي . .
ومن قَهْقَهَاتِ التلاميذِ،
إذْ يعبرونَ الشوارعْ . . . .

٨٩/١/٢٤

إستراتيجيَّة

سأبقى أُغنِّي . .
سأبقى أُغنّي . .
إلى أن أُحطِّمَ من يَعبُدُونَ الفُرُوجَ . .
ومَنْ يشترونَ بشيكّاتِهِمْ
بَنَاتِ الهوى . .
ورجالَ القَلَمْ . .
سأبْقَى أُغنّي
برغْمِ عويلِ الرياحِ ، وعَصْفِ المَطَرْ
وهم يركُضُونَ وراءَ القصيدةِ،
مثلَ كلابِ الأثَرْ . .

٨٩/١/٢٤

فـوق

أنا رجلٌ لا يُريحُ . . ولا يستريحْ
فلا تصحبيني على الطُرُقِ المُعْتِمَهْ
فشِعْري مُدانٌ .
ونَثْري مُدانٌ .
ودربي الطبيعيُّ بين القصيدةِ . . والمَحْكَمَهْ . . .
يُشَرِّفُنِي أنّني ما قبلتُ وساماً
فإنّي الذي يمنحُ الأوسِمَهْ . .
ولم أكُ بُوقاً لأيِّ نظامٍ
فشعريَ فوقَ الممالكِ والأنظِمَهْ . . . .

٨٩/١/١٦

تلك هي الجريمة

١

يقالُ عنّي : شاعِرٌ رَجِيمْ
وإنَّ ما أكتُبُهُ
قصائدٌ رجيمَهْ . .
وإنَّني أخالفُ الأعرافَ . .
والأخلاقَ .
والمناقبَ الكريمَهْ . .

٢

يُقَالُ أيضاً:

إنَّني المسؤولُ عن إفلاسِنا الروحيِّ..
والقوميِّ.. والإحباطِ.. والهزيمَهْ..
يقالُ ألفُ قصّةٍ وقصّةٍ.. عنّي
فكُلُّ مُبْدِعٍ في وطني
يطفُو على بحرٍ من النميمَهْ،
لكنَّني أظلُّ دوماً واقفاً
كالرُمْح فوقَ مركبي..
أواجهُ البُرُوقَ، والرُعُودَ،
والعواصفَ اللئيمَهْ
فإنَّني أعيشُ يا سيِّدتي، في وَطَنٍ
تُعتَبَرُ الكِلْمةُ في قانونِهِ..
جَريمَهْ...

٣

لا تَقْلَقي عليَّ . . يا صديقتي
فكُلُّ ما اتُّهِمْتُ فيه من جرائمٍ
جرائمٌ جميلَهْ . .
ألَمْ أقُلْ بأنَّ هذه الدنيا بغير امرأةٍ ؟
كَوْمٌ من الحجارَهْ .
وأنَّ مَنْ لا يعرفُ العِشْقَ
فلا يمكنُ أن يعرفَ ما الحَضارَهْ . . .

٤

لا تَقْلَقي عليَّ . . يا صديقتي
فكُلُّ ما اقْتَرَفْتُهُ
أنِّي منعتُ البَدْوَ أن يعتبروا النساءَ كالوليمَهْ . . .
وكُلُّ ما ارتَكَبْتُهُ
أنّي رَفَضْتُ القَمْعَ . .
و (الإيدْزَ) السياسيَّ . .
والفِكْرَ المباحثيَّ . .
والأنظمَة الدميمَهْ . .
وكُلُّ آثامي ـ وما أرْوَعَها ـ
أنّي انْتَخَبْتُ صوتَ فيروزٍ
ولم أنْتَخِبِ الحُكُومَهْ . . .

وكُلُّ أخطائي التي أزْهُو بها
أنّي رفضتُ أن يُداسَ الشعبُ
بالأحذيةِ القديمَهْ . .
تلكَ هيَ الجريمَهْ .
تلكَ هيَ الجريمَهْ .

٥

صديقتي .
صديقتي الحَمِيمَهْ .
لا تُتْعِبي نَفْسَكِ في مَتَاعِبي
سيسقُطُ الطُغاةُ عن آخِرِهِمْ
وتصمُدُ القصيدةُ العظيمَهْ . . .

١٩٨٨/١١/١٥

هذا أنا . . .

١

أدْمَنْتُ أحزاني
فصِرْتُ أخافُ أنْ لا أحْزَنا
وطُعِنْتُ آلافاً من المرَّاتِ
حتَّى صار يوجِعُني ، بأنْ لا أُطْعَنَا
ولُعِنْتُ في كُلِّ اللُّغاتِ . .
وصارَ يُقْلِقُنِي بأنْ لا أُلْعَنَا . . .

ولقد شُنِقْتُ على جدارِ قصائدي
ووصيَّتي كانَتْ . .
بأنْ لا أُدْفَنَا .
وتشابَهَتْ كُلُّ البلادِ . .
فلا أرى نَفْسي هُنَاكَ
ولا أَرَى نَفْسِي هُنا . . .
وتشابَهَتْ كُلُّ النساءِ
فَجِسْمُ مَرْيَمَ في الظلامِ . . كما مُنَى . .
ما كانَ شِعْرِي لُعْبَةً عَبَثِيَّةً
أو نُزْهةً قَمَرِيَّةً
إنّي أقولُ الشِعْرَ - سيِّدتي -
لأَعْرِفَ مَنْ أنا . . . .

٢

يا سادتي :
إنّي أُسافِرُ في قطار مَدَامعي
هَلْ يَركبُ الشعراءُ إلاَّ في قطاراتِ الضَنَى؟
إنّي أُفَكِّرُ باختراع الماءِ . .
إنَّ الشِعْرَ يجعلُ كُلَّ حُلْمٍ مُمْكِنَا
وأنا أُفَكِّرُ باختراع النَهْدِ . .
حتّى تُطْلِعَ الصحراءُ، بعدي، سَوْسَنَا
وأنا أُفكِّرُ باختراع الناي . .
حتى يأكُلَ الفقراءُ، بعدي، (المَيْجَنَا) .
إنْ صادروا وَطَنَ الطُفُولة من يَدِي
فلقد جَعَلتُ من القصيدة مَوْطِنَا . .

٣

يا سَادَتي :

إنَّ السَماءَ رحيبةٌ جداً . .

ولكنَّ الصَيارِفَةَ الذين تقاسَمُوا ميراثَنا . .

وتقاسَمُوا أوطانَنَا . .

وتقاسَمُوا أجسَادَنا . .

لم يتركُوا شِبْراً لنا . .

يا سَادَتي :

قاتلتُ عصراً لا مثيلَ لقُبْحِهِ

وفَتَحْتُ جُرْحَ قبيلتي المُتَعَفِّنَا . .

أنا لستُ مُكْتَرِثاً
بكُلِّ الباعَةِ المُتجوِّلينَ . .
وكُلِّ كُتَّابِ البَلَاطِ . .
وكُلِّ من جعلوا الكتابةَ حِرْفَةً
مثلَ الزِنى . . .

٤

يا سادتي :
عَفْواً إذا أَقْلَقْتُكُمْ
أنا لستُ مُضْطَّراً لأُعْلِنَ تَوْبَتي
هذا أنا . . .
هذا أنا . . .
هذا أنا . . .

١٥ - ٦ - ١٩٨٨

الطابُور

طَالبتُ ببعضِ الشَمْسِ ،
فقالَ رجالُ الشُرْطةِ :
قِفْ ـ يا سيِّدُ ـ في الطابُورْ
طَالبتُ ببعض الحِبْرِ، لأكتُبَ إسْمِي . .
قَالُوا : إن الحِبْرَ قليلٌ . . .
فالْزَمْ دَوْرَكَ في الطابُورْ

طَالَبْتُ بأيٍّ كتابٍ أقرأُ فيهِ . .
فصَاحَ قميصٌ كاكيٌّ :
مَنْ كانَ يُريدُ العِلْمَ . .
فإنَّ عليهِ ، قراءةَ منشُورات الحِزْبِ . .
وأحكامِ الدُسْتُورْ . .
طالبتُ بإذْنٍ حتَّى ألقى امْرأَتي
فأجابُوني : إنَّ لقاءَ المرأةِ صَعْبٌ . .
وعلى العاشقِ ،
أنْ لا ييأَسَ من طُولِ الطابُورْ

طالبتُ بإذْنٍ . .
حتَّى أُنْجِبَ وَلَداً . .
قالَ نقيبٌ، وهو يُقَهْقِهُ :
إنَّ النَسْلَ مُهِمٌّ جِدّاً . .
فَلْتَسْتَنْظِرْ، سَنةً أُخرى، في الطابُورْ
طالبتُ برؤْية وجهِ اللَّهِ . .
فصاحَ وكيلٌ من وُكَلاَءِ اللّهِ . .
(لماذا ؟)
قلتُ: لأنّي إنْسَانٌ مَقْهُورْ . .
فأشارَ إليَّ بإصْبعهِ
وفهمتُ بأنَّ المقهورينَ
لهم أيضاً طابُورْ . . .

●

يا ربِّي :
أرجُو أن ألقاكَ . . ولكنْ لا تترُكْني
مثلَ كلاب الشارعِ ، في الطابُورْ
من يوم أتيتُ إلى الدُنْيَا
وأنا مَزْرُوعٌ في الطابُورْ
ساقايَ تجمَّدَتَا في الثَلْجِ ،
ونَفْسِي كالوَرَقِ المنثُورْ

منتظرٌ وطناً. . لا يأتي
وشواطيءَ دافئةً. . وطُيُورْ. .
لا أدري. . كيفَ أقولُ الشِعْرَ
فحيثُ ذهبتُ يُلاحقني السَاطُورْ. .
كلُّ الأوراقِ مُفخَّخَةٌ. .
كلُّ الأقلام مُفَخَّخَةٌ. .
كلُّ الأثداء مُفَخَّخَةٌ. . .
وسريرُ الحُبِّ. .
يريدُ جوازَ مُرُورْ. . .

●

يا ربِّي :
إنَّ الأُفْقَ يَضيقُ . يَضيقُ . يَضيقُ .
وهذا الوطنُ القابعُ بين الماءِ . . وبين الماءِ . .
حزينٌ كالسيفِ المكْسُورْ . .
فإذا ودَّعْنَا كافُوراً . .
يأتينا . . أكثرُ من كافُورْ . .

●

يا ربِّي :
إنَّ الأُفْقَ رماديٌّ
وأنا أشْتَاقُ لقَطْرةِ نُورْ
إنْ كُنْتَ تُريدُ مساعَدَتي
يا ربِّي . . فاجْعَلْنِي عُصْفُور . . .

١٩٨٩/٢/٢

تصميم

ليس في وُسْعِكِ، يا سيِّدتي،
أن تُصْلِحيني
فلقد فاتَ القِطَارْ.
إنَّني قرّرتُ أن أدخُلَ
في حَرْبٍ مع القُبْح . .
ولا رَجْعةَ عن هذا القَرَارْ. .
فإذا لم أستطع أيقافَ جيش الرُومِ
أو زَحْفِ التتَارْ
وإذا لم أسْتَطِعْ أن أقتُلَ الوَحْشَ
فحسبي أنّني
أحدثتُ ثُقْباً في الجِدَارْ. . .

إذا

إذا أردتَ أن تكون شاعراً
مختلفَ الملامحْ . .
وفاتكاً . . وجارحْ . .
فأخرُجْ على غرائز القطيعْ .

خيارات

ليس هنالكَ لَعِبٌ بالكَلِمَاتْ
فعلى الشاعر أن يختارَ معاركَهُ
أو يختارَ السُكْنَى
في بيت الأمواتْ . . .

التماسيح

يُعمِّرُ الحاكمُ في بلادنا
ألفَ سَنَهْ . .
وعندما يذهبُ ـ مُضْطرًّاً ـ إلى ضريحِهِ
يهنّىءُ المُشَيِّعُون بعضَهُمْ
وترقُصُ الأزهارُ خلفَ نعشِهِ
والأحْصِنَهْ . . .

التصويرُ في الزَمَن الرماديّ

١

أحاولُ منذُ الطُفُولةِ
أن أتصوَّر شَكْلَ الوَطَنْ.
رَسَمْتُ بيوتاً،
رَسَمْتُ سُقُوفاً،
رَسَمْتُ وُجُوهاً،
رَسَمْتُ مآذنَ مطليَّةً بالذَهَبْ
رَسَمْتُ شوارعَ مهجورةً
يُقَرْفِصُ فيها.. لكيْ يستريحَ التَعَبْ
رَسَمْتُ بلاداً، تُسمَّى مَجَازاً،
بلادَ العَرَبْ..

٢

أحاولُ منذُ الطُفُولة رَسْمَ بلادٍ
تسامِحُني . .
إنْ كَسَرْتُ زُجاجَ القَمَرْ
وتشكُرُني . . إن كتبتُ قصيدةَ حُبٍّ
وتسمحُ لي أن أُمارسَ فِعْلَ الهوى
ككُلِّ العصافيرِ، فوقَ الشَجَرْ. .
أحاولُ رَسْمَ بلادٍ. .
بها بَشَرٌ يضحكون. . ويبكونَ مثلَ البَشَرْ
أحاوِلُ أن أتبرَّأَ من مُفْرَداتي
ومن لَعْنَةِ المُبْتَدا. . والخَبَرْ. .

وأنفُضَ عنّي غُبَاري
وأغسِلَ وَجْهي بماء المَطَرْ. .
أُحَاوِلُ من سُلْطَةِ الرَمْلِ أن أستقيلَ. . .
وداعاً قُرَيْشُ. .
وداعاً كُلَيْبُ. .
وداعاً مُضَرْ. . .

●

٣

أحاولُ رَسْمَ بلادٍ
لها بَرْلَمانٌ من الياسَمينِ . .
وشَعْبٌ رقيقٌ من الياسَمِينِ . .
تنامُ حمائمُها فوق رأسي . .
وتبكي مآذِنُها في عُيُوني .
أحاولُ رَسْمَ بلادٍ . .
تكونُ صديقةَ شعري
ولا تتدخَّلُ بيني . . وبينَ ظُنُوني

ولا يتجوَّلُ فيها العساكرُ
فوقَ جبيني . .
أُحاوِلُ رَسْمَ بلادٍ
تُكافِئُني . . إنْ حَرَقْتُ ثيابي
وَتَصْفَحُ عنّي . .
إذا فَاضَ نَهْرُ جُنُوني . . .

●

٤

أحاوِلُ رَسْمَ مدينة حُبٍّ
تكونُ محرَّرَةً من جميع العُقَدْ . .
فلا يَذْبحونَ الأنوثةَ فيها . .
ولا يقمَعونَ الجَسَدْ . .
رحلتُ جنوباً . .
رحلتُ شمالاً . .
ولا فائِدَهْ . .
فقهوةُ كُلِّ المقاهي ، لها نكْهَةٌ واحِدَهْ
وكُلُّ النساءِ لهُنَّ ، إذا ما تعرَّيْنَ . .
رائحةٌ واحدَهْ . .
وكُلُّ رجالِ القبيلةِ ، لا يمضغُونَ الطعامَ .
ويلتهمونَ النساءَ . .
بثانيةٍ واحِدَهْ . . .

٥

أُحاوِلُ منذُ البداياتِ . .
أن لا أكُونَ شبيهاً بأيِّ أَحَدْ
رفضتُ الكلامَ المُعلَّبَ دوماً
رفضتُ عبادةَ أيِّ وَثَنْ
أحاولُ إحراقَ كُلِّ النصوص التي أرتديها
فبعضُ القصائد قَبْرٌ
وبعضُ اللُّغاتِ كَفَنْ.
رسمتُ نزيفَ المقاهي
رسمتُ سُعَالَ المُدُنْ
وواعدتُ آخِرَ أُنثى
ولكنَّني . . جئتُ بَعْدَ مُرورِ الزَمَنْ . . . .

٦

أحَاوِلُ رَسْمَ بلادٍ
سريري بها ثابِتٌ
ورأسي بها ثابِتٌ
لكيْ أعرفَ الفَرْقَ بين البلادِ.. وبين السُفُنْ..
ولكنَّهُمْ.. أخذوا عُلْبَة الرَسْمِ منّي
ولم يسمحوا لي..
بتصوير وَجْهِ الوَطَنْ...

١٩٨٩/١/٢٥

القصيدةُ تطرحُ أسئلتَها . .

يَسُرُّني جدّاً . .
بأن تُرْعِبَكُمْ قصائدي
وعندكُمْ، مَنْ يَقطعُ الأعْنَاقْ . .
يُسْعِدُني جدّاً . . بأن ترتعشُوا
من قَطْرَةِ الحبرِ . .
ومن خَشْخَشَةِ الأوراقْ . .
يا دَوْلَةً . . تُخيفُها أُغْنِيَةٌ
وكِلْمةٌ من شاعرٍ خلاَّقْ . . .

يا سُلْطَةً . .
تَخْشَى على سُلْطَتِها
من عَبَق الوردِ . . ومن رائحةِ الدُرَّاقْ
يا دَوْلَةً . .
تطلبُ من قُوَّاتِها المُسَلَّحَةْ
أن تلقيَ القَبْضَ على الأشواقْ . . . .

●

يُطْرِبُني . .
أن تُقْفِلُوا أبوابَكُمْ
وتُطْلِقُوا كلابَكُمْ
خوفاً على نسائكُمْ
من مَلِكِ العُشَّاقْ . . .

يُسْعِدُني
أن تجعلُوا من كُتُبِي مَذْبَحةً
وتَنْحَرُوا قصائدي
كأنَّها النِيَاقْ . .
فسوفَ يغدو جَسَدي
تكيَّةً . . يزورُها العُشَّاقْ

●

يَقْرؤُني رقيبُكُمْ . .
وهْوَ يَسِنُّ شَفْرَةَ الحِلاَقهْ . .
كأنَّما رقيبُكُمْ
- في أصلِهِ - حَلَّاقْ . . .

ليس هناكَ سُلْطَةٌ
يمكنُها أن تمنعَ الخُيُولَ من صَهِيلِها
وتمنعَ العُصْفُورَ أن يكتشفَ الآفاقْ
فالكلماتُ وَحْدَها . .
ستربحُ السِبَاقْ . . .

●

ستقْتُلُونَ كاتباً . .
لكنَّكُمْ لَنْ تقتُلُوا الكِتَابَهْ . .
وتذبَحُونَ، رُبَّما، مُغَنِّياً
لكنَّكُمْ لن تذبحُوا الرَبَابَهْ . . .

تِسْعٌ وتِسْعُونَ امْرأةْ. . .
تَقْبَعُ في حريمكُمْ.
فالنَهْدُ قُرْبَ النَهدْ. .
والساقُ قُرْبَ السَاقْ. .
وكُلُّ شيءٍ جاهزٌ
وثيقَةُ النكاحِ . . أو وثيقَةُ الطَلاَقْ. .
والخَمْرُ في كؤوسكُمْ
والنارُ في الأحداقْ
وتَمْنَعُونَ دائماً قَصَائدي
حِرْصاً على مَكَارِمِ الأخلاقْ!!.

إنْتَظِرُوا زِيَارتي . .
فسوفَ آتيكُمْ بدون موعدٍ
كأنَّني المَهْديُّ . .
أو كأنَّني البُرَاقْ . . .
إنْتَظِرُوا زِيارتي . .
فلستُ محتاجاً إلى تأشيرةٍ
ولستُ مُحْتاجاً إلى مُعَرِّفٍ
فالناسُ في بُيُوتِهِمْ يُعَلِّقُونَ صورتي . .
لا صُورَةَ السُلْطَانْ . .
والناسُ، لو مررتُ في أحلامِهِمْ
ظَنُّوا بأنِّي (قَمَرُ الزَمانْ) . . . .

●

حينَ يمُرُّ موكبُ الخليفَهْ
في زَحْمَة الأسْوَاقْ
يُبَشِّرُ الأطفالُ أُمَّهَاتِهِمْ
لقد رأينا . . .
(طائرَ اللقْلَاقْ) . . . .

●

إنتظرُوني . . أيُّها الصيارِفَهْ
يا مَنْ بَنَيْتُمْ من فُلُوس النَفْطِ . .
أهراماً من النِفَاقْ . .
يا مَنْ جَعلتُمْ شِعْرَنا . . ونَثْرنا . .
دُكَّانةَ ارتزاقْ . .

●

إنتظرُوا زيارتي . .
فالشعرُ يأتي دائماً
من عَرَق الشَعْبِ، ومن أَرْغِفَةِ الخُبْزِ،
ومن أقْبيةِ القَمْعِ . .
ومن زَلازِلِ الأعماقْ . .
مهما رفعتُمْ عالياً أسْوارَكُمْ
لَنْ تَمنَعُوا الشَمْسَ من الإشْراقْ . . .

١٩٨٩/١/٣٠

أصهارُ الله . . . . .

١

ما جاءَ يوماً حاكمٌ لهذه المدينَهْ
إلاَّ دَعَا الناسَ إلى المَسْجِدِ . .
يومَ الجُمُعَهْ . .
وقالَ في خطبتِهِ العَصْماءْ
بأنَّهُ من أولياءِ اللَّهْ . . .
وأصْفِياءِ اللَّهْ . .
وأصدقاءِ اللَّهْ . . .

٢

ما جاءَ يوماً حاكمُ
لهذه المدينةِ المقهورةِ،
المكْسُورَةِ ،
الحزينَهْ . . .
إلّا ادَّعى ، بأنَّهُ المُمَثِّلُ الشَخْصيُّ ،
والناطِقُ باسْم اللَّهْ . .
فَهَلْ من المَسْمُوحِ ،
أنْ أسألَه تَعَالَى . .
هَلْ أنتَ قد أعطيتَهُمْ وكالةً
مَخْتُومَةً . . مُوَقَّعَهْ؟ . .
كي يجلسوا على رقاب شعبِنَا
إلى الأَبَدْ . . . .

هل أنتَ قد أَمَرْتَهُمْ
أن يخربُوا هذا البَلَدْ؟
ويَسْحَقُونَا كالصراصيرِ،
بأَمْرِ اللَّهْ . .
ويَضْرِبُونَا بالبساطيرِ،
بأَمْر اللَّهْ . . .
فإنْ سأَلْتَ حاكماً منهُمْ
مَنِ الَّذِي ولاَّكَ في الدنيا على أُمُورنا؟
قَالَ لنا : يا جَهَلَهْ . .
أَمَا علمتُمْ أنَّني . .
أصبَحْتُ صِهْرَ اللَّهْ؟؟

٣

أريدُ أن أصْرَخَ:
يا اللَّهْ !
هل أنْتَ عيَّنْتَ وزيرَ المالْ؟
إذَنْ.. لماذا انْفَجَر الفَقْرُ؟
لماذا انْفَجَرَ الصَبْرُ؟
لماذا ساءَتِ الأحوالْ؟
وأصبَحَ الصَحْنُ الرئيسيُّ هو الزِّبَالَهْ...
وأصْبَحَ العصفورُ في بلادِنَا..
لا يجِدُ النِخَالَهْ...
فهل غَلَاءُ الخُبْز..
شأنٌ من شؤونِ اللَّهْ؟؟

وهل غَلاَءُ الفُولِ؟. والحُمُّصِ . .
والطُرْشـيِّ . .
والجَرْجِيرِ . .
شَأْنٌ من شؤونِ اللَّهْ؟ . . .
وهل غلاءُ المَوْتِ، والأكفانِ،
شأنٌ من شُؤُون اللَّهْ؟
إذَنْ لماذا يأكُلُ الكبارُ كافياراً
ونحنُ نأكُلُ النِعَالْ؟
إذَنْ . . لماذا يشربُ الضُبَّاطُ وسْكيَّاً
ونحنُ نشربُ الأوْحَالْ؟
إذَنْ . . لماذا لا يفرّقُ الفقيرُ في بلادِنا
بينَ رغيفِ الخُبْزِ . . والهلاَلْ . . .
إذَنْ . . لماذا في بُطُون أمَّهاتِهِمْ
ينتحِرُ الأطْفال؟ . . .

٤

أريدُ أن أسألَهُ تَعَالَىٰ .
هل أنت قد عَلَّمْتَهُمْ
أن يجعلُوا من جِلْدِنَا طُبُولْ؟
ويغسلوا دماغَنا . .
ويستبُوا نِسَاءَنا . .
ويركَبُونا بَدَلَ الحميرِ والخُيُولْ . .
أريدُ أن أسألَهُ تَعَالىٰ
هل أنتَ قد أَمَرْتَهُمْ؟
أن يكسِرُوا عظامَنا . .
ويكسروا أقلامَنَا . . .
ويقتُلُوا الفاعِلَ والمفعولْ
ويمنعُوا الأزهارَ أن تنبُتَ في الحُقولْ؟؟ .

٥

أريدُ أن أسأَلَ :
يا اللَّهْ . .
هل أنْتَ قد أعْطَيْتَهُمْ
شِكّاً على بَيَاضْ؟
ليشتروا فرسايَ . . والمملكةَ المُتَّحِدةْ
ويشتروا بابلَ . . والحدائقَ المُعَلَّقَةْ
ويَشْتَرُوا الصحافةَ المُرْتَزِقَةْ . . .
هل أنتَ قد أعطيتَهُمْ شِكَّاً على بَيَاضْ؟
ليَشْتَرُوا التاجَ البريطانيَّ . . والقُصُورْ . .
ويشتروا النساءَ في الأقفاصِ ، كالطُيُورْ
والقَمَرَ الأخْضَرَ في سماء نيسابُورْ؟؟

٦

أريدُ أن أسْأَلَ:
يا اللّهْ..
هل أَنْتَ قد صَاهَرْتَهُمْ
حقاً؟..
وهل من قاتلٍ لشَعْبِهِ
يُصْبحُ صِهْرَ اللّهْ؟؟

مقابلة تلفزيونية مع (غودو) عربي . .

١

مُنْتَظِرٌ أن يَرْحَلَ القِطَارْ
أيُّ قطارٍ كانَ . .
لا يهمُّني .
أيُّ اتِّجَاهٍ كانَ . .
لا يهمُّني . .
للشَرْقِ . . أو للغربِ . .
لا يهمُّني . .
لجنّةِ الفردَوْسِ ، أو للنارْ . .

أنا كغُودو . .
أسْمَعُ الصفيرَ في الليلِ ،
ولكنْ . . لا أرى محطَّةً . .
ولا أرى أرْصِفَةً . .
ولا أرى قطارْ . . .

٢

وقفتُ في الطَابُورِ مليونَ سَنَهْ
كي أشتري تَذْكِرةً
نِمْتُ على حقائبي .
نِمْتُ على مَتَاعِبي .
قرأتُ ألفَ مَرَّةٍ جريدتي .
ما أسْخَفَ الأخبارْ . .

نَظَرْتُ ألفَ مَرَّةٍ لساعتي .
وَجَدْتُها واقفةً
عَدَدْتُ ألفَ مَرَّةٍ أصابعي
وَجَدْتُها ناقصةً
فَكَّرتُ أن أذهبَ للمرْحَاضِ . .
لكنْ . . خفتُ أن يفوتَني القِطَارْ . . .

٣

أَتْعَبني صقيعُ نصف الليلِ ،
والتحديقُ في القُضْبَانِ،
والجلوسُ أعواماً على مقهى الضَجَرْ
أتْعَبَني انْتِظَارُ ما لا يُنْتَظَرْ . . . .

بحثتُ في صحيفة الأبْراجِ
عن (بُرْج الحَمَلْ) . . .
فلم أجِدْ حمامةً قادمةً
ولا طريقاً للسَفَرْ . .
بحثتُ عن كأسٍ من الكونياكِ . .
عن سَجَائرٍ . .
بحثتُ عن سيّدةٍ أشُمُّ عِطْرَ جِسْمِهَا
قُبَيْلَ أن أسَافِرْ . .
وجدتُ صرصاراً على حقيبتي .
سألتُهُ من أنتَ؟ قالَ إنّني مهاجرْ
وكان مثلِي . . يرتدي قُبَّعةً ومعطفاً .
وكان مثلِي جالساً . .
ينتظرُ القطارْ . . .

٤

غُودُو أنا . .

ليسَ معي تأشيرةٌ إلى بَلَدْ . .

وليسَ في العالم من مدينةٍ

يَعْرِفُنِي فيها أَحَدْ .

كُلُّ المحطَّاتِ التي أقْصُدُها

مُطْفَأَةُ الأنوارْ .

كُلُّ القِطاراتِ التي أَسْمَعُها

تَمُرُّ فوقَ جُثَّتي .

هل القطاراتُ هيَ الأقدارْ؟

غُودُو أنا .
غودُو أنا .
تسلَّقَ العُشْبِ على حقائبي
تسلَّقَ العُشْبُ على ذاكرتي
والوقْتُ فوق رَقْبَتي
يَمُرُّ كالمِنْشَارْ . .
لا تَتْرُكِي رأسيَ في الهَوَاءِ، يا سيِّدتي
فهذه الدُنْيَا . .
بلا سَقْفٍ . . ولا جِدَارْ . .
لا تَتْرُكِيني أبداً . .
فالقلبُ إبريقٌ من الفُخَّارْ . . .

٥

مُنْتَظِرٌ، صفَّارةَ القِطَارْ
مُنْتَظِرٌ من يوم أن وُلِدْتُ،
لَحْظَةَ الخُرُوجِ من مدائنِ الغُبَارْ
مُنْتَظِرٌ أن يزحفَ البحرُ على قصائدي،
وتهطُلَ الأمطارْ. .
مُنْتَظِرٌ معجزةً، تُخْرِجُني نحو مدارٍ آخَرٍ. .
نحو فضاءٍ آخرٍ. .
يؤمِنُ في بَنَفْسجِ البحرِ،
وفي حريّة الحُبِّ. . .
وفي تعدُّدِ الحِوَارْ. . .

٦

من ألفِ عامٍ . .
وأنا مُنْتَظِرٌ إجازَتي
مُنْتَظِرٌ جزيرةً في البَحْرِ . .
لا تعرفُها البِحَارْ . .
مُنْتَظِرٌ قصيدةً ، خاتَمُها من ذَهَبٍ . .
وخَصْرُها من نارْ . .
مُنْتَظِرٌ فاطمةً . . تأتي ومِنْ ورائِها
جيشٌ من الأشجارْ
وفي مياهِ ناهديْها . . تسبحُ الأسماكُ والأقمارْ
مُنتظرٌ فاطمةً . . تحمِلُ في كلامِها ،
حضارةَ الوردةِ . . لا حضارةَ الصبَّارْ . . .
لولا يَدَا فاطمةٍ . .
ما كانَ قد تشكَّلَ النَهَارْ . . .

٧

غُودُو أنا . .
ولم أزَلْ أبحثُ فوق الرَمْل، عن بقية اخْضرارْ
ولم أزَلْ أبحثُ في الرُكَامِ عن زَهْرَة جُلَّنارْ
ولم أزلْ أؤمِنُ بالشعر الذي يَطْلَعُ كالوردة
من خاصرة الدمارْ . .

٨

غودو أنا . .
ولا يزالُ الرومُ يسجِنُونَني
ويفرضونَ حالةَ الحصارْ .
ولا يزالُ البَدْوُ يكرهُونني
ويكرهون الماءَ . .
والخُضْرَةَ . .
والبِذَارْ . .

فَمَنْ سوى فاطِمَةٍ؟
تَرُدُّ عنّي هَجْمَةَ التَتَارْ.
ومَنْ سوى فاطمةٍ تُحوِّلُ الفَحْمَ إلى حدائقٍ
وتقلِبُ الليلَ إلى نَهَارْ؟..

٩

ما زالَ (غُودُو) منذُ مليون سَنَهْ..
مُرْتدياً مِعْطَفَهُ،
وحامِلاً أكياسَهُ،
وقانِعاً أن هُنَاكَ في المَدَى محطَّةً
وأنَّ في إمكانِهِ، لو شَاءَ،
أن يخترعَ القِطارْ...

قراءة ثانية لمقدّمة ابن خلدون

١

هذا هو التاريخُ ، يا صديقتي
من غَيْرِ مَا تَعْليقْ .
وكلُّ ما قرأتِ عن سيرتِنا المعطَّرهْ
من كَرَمٍ . .
ونَجْدةٍ . .
ونَخْوَةٍ . .
والعَفْوِ عندَ المقدِرَةْ . . .
ليس سوى تَلْفِيقْ . . . .

وكلُّ ما سَمعْتهِ من قِصَص الشَهَامَهْ
وعن سَجَايَا حاتمٍ
وعن حكايا عَنْتَرَهْ. . .
لم يَبْقَ شيءٌ منهُ في المفكِّرَهْ
وكلُّ ما سمعتِ عن حُرُوبنا المُظَفَّرَهْ
وكرِّنَا . .
وفَرِّنا . .
وأرضِنَا المُحرَّرَهْ. .
ليس سوى تلفيقْ. . .

٢

هذا هو التاريخُ ، يا صديقتي
فنحنُ منذُ أن تُوُفِّيَ الرسولُ ،
سائِرُونَ في جَنَازَهْ . . .
ونحنُ ، منذُ مَصْرَعِ الحُسَيْنِ ،
سائرونَ في جَنَازَهْ . .
ونحنُ ، من يوم تخاصَمْنَا
على البُلْدَانِ . .
والنِسْوانِ . .
والغِلْمَانِ . .
في غَرْنَاطةٍ .
موتى ، ولكنْ ما لهُمْ جنازَهْ ! . .

٣

لا تَثِقي ، بما روى التاريخُ ، يا صديقتي
فَنِصْفُهُ هَلْوَسَةٌ . .
ونِصْفُهُ خِطَابَهْ . .
أطفالُنا ، ليسَ لهُمْ طفُولةٌ .
سماؤنا ، ليسَ بها سَحَابَهْ .
نِسَاؤُنا . . ما زِلْنَ في ثلاَّجة الخليفَهْ
عُشَّاقُنا . .
يَسْتَنْشِقُون وردةَ الكآبَهْ . .
كُتَّابُنا ، يحاولونَ القَفْزَ كالفِئْرَانِ ،
من مَصْيَدَةِ الرَّقَابَهْ . .

٤

لا تَثِقي، صديقتي،
بكُلِّ ما تقولُهُ الحُكُومَهْ.
فَعَزْفُهَا مُكرَّرٌ..
وصَوْتُها نَشَازْ..
المُخْبِرونَ.. كسَّرُوا عِظَامَنا
وشعبُنا...
يَمْشِي على عُكَّازْ...

٥

صديقةَ العُمْر التي . .
أقرأُ في عُيُونِها المأْسَاةْ
صديقةَ العمر التي تقتسمُ المَنْفَى معي . .
والحُزْنَ . . والشَتَاتْ . .
نحنُ شعوبٌ تجهلُ الفَرَحْ
أطفالُنا ما شاهدوا في عُمْرِهِمْ
قَوْسَ قَزَحْ . .
هذي بلادٌ أقفلتْ أبوابَها . .
وألغتِ التفكيرَ عند شعبِها
وألغتِ الإِحسَاسْ . .
هذي بلادٌ تُطْلِقُ النارَ على الحَمَامِ . .
والغَمَامِ . .
والأجراسْ . . .

٦

ما طارَ طيرٌ عندنا . .
إلّا انْذَبَحْ . .
ولا تغنَّى شاعرٌ بشِعْرِهِ . .
إلاَّ انْذَبَحْ . . .

٧

هذي بلادٌ..
ما بها مسيرةٌ تَمْشِي..
ولا ذُبَابَةٌ تطيرُ من حيٍّ.. إلى حيٍّ..
ولا أمسيةٌ شعريَّةٌ تُعْطَى..
ولا أعْرَاسْ...

٨

هذي بلادٌ
نِصْفُها زَنْزَانَةٌ
ونِصْفُها حُرَّاسْ . . .
تزوَّجَ المَوْتَى نساءَ بعضِهِمْ
فأينَ راحَ الناسْ؟؟

٩

تقولُ لي سائحةٌ شقراءُ من فَرَنْسَا:
بلادُكُمْ أجْمَلُ ما شاهدتُ من بُلْدَانْ.
فالماءُ فيها ضاحِكٌ..
والوردُ فيها ضاحِكٌ...
والخَوْخُ.. والرُّمَّانْ...
والياسَمِينُ عندكُمْ،
يُمَشِّطُ الشَعْرَ على الحيطانْ...
فكيف في بلادكُمْ..
لا يَضْحكُ الإنسانْ؟؟

١٩٨٨/١١/٦

أبو جَهْل . . يشتري
(فْليتْ ستريتْ) . . . .

١

هل اخْتَفَتْ من لَنْدنٍ؟
باصاتُها الجميلةُ الحمراءْ .
وصارتِ النوقُ التي جئنا بها من يَثْرِبٍ
واسطةَ الرُكُوبِ ،
في عاصمة الضَبَابْ؟

٢

تَسَرَّبَ البَدْوُ إلى
قَصْرِ بكنْغهَام ِ ،
ونامُوا في سرير المَلِكَهْ
والإنجليزُ، لَمْلَمُوا تاريخَهُمْ . .
وانْصَرَفُوا . .
واحْتَرَفُوا الوُقُوفَ ـ مثلما كُنَّا ـ
على الأَطْلالْ . . . .

٣

ها هُمْ بَنُو تَغْلِبَ..
في (سُوهُو)
وفي (فيكتوريا)..
يُشَمِّرُونَ ذَيْلَ دشْدَاشَاتِهِمْ
ويرقُصُونَ الجَازْ...

٤

هل أصْبَحَتْ إنجلْترَا؟
تصْحُو على ثَرْثَرَة البَدْوِ. .
وسَمْفُونيّةِ النِعَالْ؟؟

٥

هل أصبحتْ إنْجلْترَا؟
تمشي على الرصيفِ، بالخُفِّ. . وبالعُقَالْ؟
وتَكتبُ الخَطَّ من اليمين للشِمالْ. . .
سُبْحانَهُ مُغَيِّرُ الأحوالْ!!

٦

عَنْتَرةٌ . . يبحثُ طولَ الليل، عن رُوميَّةٍ
بَيْضاءَ كالزُبْدَةِ . .
أو مليسةِ الفخذيْنِ . . كالهِلاَلْ .
يأكلُها كبَيْضَةٍ مسلوقَةٍ
من غير مِلْحٍ - في مدى دقيقةٍ -
ويَرْفَعُ السِّرْوَالْ ! !

٧

لم يَبْقَ في البارْكَاتِ . .
لا بطٌّ، ولا زَهْرٌ، ولا أعشابْ .
قد سَرحَ الماعزُ في أرجائِها
وفَرَّتِ الطيورُ من سمائِها
وانْتَصَرَ الذُبابْ . . .

٨

ها هُمْ بنُو عَبْسٍ . . على مداخِلِ المِتْرُو
يَعُبُّونَ كؤوسَ البيرةِ المُبَرَّدَهْ . .
وينهشُونَ قطعةً . .
من نَهْدِ كُلِّ سَيِّدَهْ . . .

٩

هل سَقَطَ الكبارُ من كُتَّابِنا
في بورصة الرِيَالْ؟ . .
هل أصبحتْ إنْجِلْتَرا عاصمةَ الخلافَهْ؟
وأصبحَ البترولُ يمشي ملكاً . .
في شارعِ الصحافَهْ؟؟

١٠

جرائدٌ . .

جرائدٌ . .

جرائدٌ . .

تنتظرُ الزَبُونَ في ناصيةِ الشارعِ،

كالبَغَايا . . .

جرائدٌ، جاءتْ إلى لندنَ،

كي تُمارِسَ الحُرِيَّهْ . . .

تحوَّلَتْ ـ على يَدِ النَفْطِ ـ

إلى سَبَايَا . . .

١١

جِئْنَا لأوروبًا . .
لكي نشربَ من منابعِ الحَضَارَهْ
جِئْنَا . . لكي نَبْحَثَ عن نافذة بَحْرِيَّةٍ
من بعدما سَدُّوا علينا عُنُقَ المحارَهْ
جِئْنَا . . لكيْ نكتُبَ حُرِيَّاتِنا
من بعد أن ضاقتْ على أجسادنا العِبَارَهْ
لكنَّنا . . حين امْتَلَكْنَا صُحُفاً،
تحوَّلَتْ نُصُوصُنَا
إلى بيانٍ صادرٍ عن غرفةِ التجارَهْ . . .

١٢

جِئْنَا لأورُوبَّا
لكيْ نستنشِقَ الهَوَاءْ
جِئْنَا . .
لكيْ نعرفَ ما ألوانُها السَمَاءْ؟
جِئْنَا . .
هُرُوباً من سياط القَهْرِ، والقَمْعِ ،
ومن أذى دَاحِسَ والغَبْرَاءْ . .
لكنَّنا . . لم نتأمَّلْ زهرةً جميلةً
ولم نُشَاهِدْ مرةً، حمامةً بَيْضَاءْ.
وظلَّتِ الصحراءُ في داخلنا . .
وظلَّتِ الصحراءْ . . .

١٣

من كُلِّ صَوْبٍ . . يهجُمُ الجَرَادْ .
ويأكُلُ الشِّعْرَ الذي نكتبُهُ . .
ويَشْرَبُ المِدَادْ .
من كُلِّ صوبٍ . . يهجُمُ (الإيدْزُ) على تاريخِنَا
ويحصُدُ الأرواحَ ، والأجسادْ .
من كُلِّ صوبٍ . . يُطْلِقُون نَفْطَهُمْ علينا
ويقتُلُونَ أجْمَلَ الجِيَادْ . .
فكاتبٌ مُدَجَّنٌ . .
وكاتبٌ مُسْتَأجَرٌ . .
وكاتبٌ يباعُ في المَزَادْ
هل صار زَيْتُ الكازِ في بلادنا مُقَدَّساً؟
وصار للبِتْرُولِ في تاريخنا ، نُقَّادْ؟؟

١٤

للواحِدِ الأوْحَدِ. . في عَلْيَائِهِ
تَزْدانُ كُلُّ الأغْلِفَهْ.
وتُكْتَبُ المدائحُ المُزَيَّفَهْ. .
ويزحفُ الفِكْرُ الوُصُوليُّ على جبينِهِ
لِيلْثُمَ العباءَةَ المُشَرَّفَهْ . .
هل هذه صحافةٌ. .
أمْ مَكْتَبٌ للصَيْرَفَهْ؟؟

١٥

كلُّ كلامٍ عندهُمْ، مُحَرَّمٌ.
كُلُّ كِتَابٍ عندهُمْ، مَصْلُوبْ.
فكيف يستوعِبُ ما نكْتُبُهُ ؟
مَنْ يَقْرَأُ الحُرُوفَ بالمَقْلُوبْ!

١٦

على الذي يريدُ أن يَفُوزَ
في رئاسة التَحْرِيرْ. . .
عليهِ . . أن يَبُوسَ
في الصباحِ ، والمساءِ
رُكْبَةَ الأميرْ . .
عليهِ . . أن يمشي على أَرْبَعَةٍ
كي يَرْكَبَ الأميرْ ! ! . .

١٧

لا يَبْحَثُ الحاكمُ في بلادِنَا
عن مُبْدِعٍ . . .
وإنَّما يبحثُ عن أجيرْ . . .

١٨

يُعطي طويلُ العُمْرِ.. للصحافةِ المُرْتزِقَهْ
مجموعةً من الظُرُوف المُغْلَقَهْ...
وبَعْدَها..
ينفجرُ النِبَاحُ.. والشَتَائِمُ المُنَسَّقَهْ...

١٩

ما لليَسَاريِّينَ مِنْ كُتَّابِنَا؟
قد تركوا (لينينَ) خَلْفَ ظَهْرِهِمْ
وقَرَّرُوا..
أن يَرْكَبُوا الجِمَالْ!!

٢٠

جِئْنَا لأورُوبَّا . .
لكَيْ نَنْعَمَ في حُريَّة التعبيرْ
ونَغْسِلَ الغُبَارَ عن أجسادِنَا
ونَزْرَعَ الأشجارَ في حدائقِ الضميرْ
فكيفَ أصبحنَا، مع الأيَّامِ ،
طبَّاخِينَ . .
في مَضَافَةِ الإسكندر الكبيرْ . ؟ . ؟

٢١

كُلُّ العصافير التي
كانَتْ تَشُقُّ زُرْقَةَ السماءِ،
في بيروتْ . .
وتملأُ الأشجارَ، والبيادِرْ . .
قد أحْرَقَ البترولُ كبرياءَها
وريشَها الجميلَ . .
والحناجِرْ . . .
فَهْيَ على سُقُوفِ لندنٍ . .
تَمُوتْ . . .

٢٢

يَسْتَعْمِلُونَ الكاتبَ الكبيرَ.. في أغْرَاضِهِمْ
كَرَبْطَةِ الحِذَاءْ..
وعندما يَسْتَنْزِفُونَ حِبْرَهُ..
وفِكْرَهُ..
يرمُونَهُ، في الريح، كالأشْلاَءْ...

٢٣

هذا لَهُ زاويةٌ يوميَّةٌ . .
هذا لَهُ عَمُودْ . .
والفارقُ الوحيدُ، فيما بَيْنَهُمْ
طريقةُ الرُكُوعِ . .
والسُجُودْ . . .

٢٤

لا تَرْفَعِ الصَوْتَ.. فأنْتَ آمِنْ.
ولا تُنَاقِشْ أبَدَاً مُسَدَّساً..
أو حاكماً فَرْداً..
فأنتَ آمِنْ..
وكُنْ بلا لونٍ، ولا طَعْمٍ، ولا رائحةٍ..
وكُنْ بلا رأيٍ..
ولا قَضِيَّةٍ كُبْرَى..
فأنْتَ آمِنْ..
واكْتُبْ عن الطقسِ،
وعن حبوبِ مَنْعِ الحَمْلِ - إنْ شئتَ -
فأنْتَ آمِنْ..
هذا هو القانونُ في مَزْرَعَةِ الدَواجِنْ..

٢٥

كيفَ تُرَى، نؤسِّسُ الكِتَابَهْ؟
في مثل هذا الزَمَن الصَغِيرْ.
والرَمْلُ في عُيُوننا
والشَمْسُ من قصديرْ.
والكاتبُ الخارجُ عن طاعَتِهِمْ
يُذْبَحُ كالبَعيرْ. . .

٢٦

أيا طويلَ العُمْر:

يا مَنْ تشتري النساءَ بالأرطالْ . .

وتشتري الأقلامَ بالأرطالْ . .

لسنا نُريدُ أيَّ شيءٍ مِنْكْ . .

فانْكَحْ جواريكَ كما تُريدْ . .

واذْبَحْ رعاياكَ كما تُرِيدْ . .

وحَاصِرِ الأُمَّةَ بالنارِ . . وبالحديدْ . .

لا أَحَدُ . .

يُريدُ مِنْكَ مُلْكَكَ السعيدْ . .

لا أَحَدُ يُريدُ أن يسرُقَ منكَ جُبَّةَ الخِلافَهْ . .

فاشْربْ نبيذَ النَفْطِ عن آخِرِهِ . .

واتْرُكْ لنا الثقافَهْ . . . .

١٩٨٩/١/١٠

الوضوءُ بماءِ العِشْق والياسَمِينْ[1]. . . .

١

ينطلقُ صوتي، هذه المرَّةَ، من دمشقْ.
ينطلقُ من بيت أُمّي وأبي.
في الشام. تتغيَّرُ جغرافيَّةُ جَسَدي.
تُصْبح كُريَّاتُ دمي خضراءْ.
وأبجديَّتي خضراءْ.
في الشام. ينبُتُ لفمي فمٌ جديدْ
وينبُتُ لصوتي، صوتٌ جديدْ
وتصبحُ أصابعي،
قبيلةً من الأصابعْ.

---

(١) المقدمة التي افتتح بها الشاعر أمسيته الشعرية التي قدّمها في معرض الكتاب الدولي بدمشق بتاريخ ١٩٨٨/٩/٢٢.

٢

أعودُ إلى دمشقْ
ممتطياً صَهْوَةَ سَحَابَهْ
ممتطياً أجملَ حصانَيْنِ في الدنيا
حصانِ العِشْقْ.
وحصانِ الشِعْرْ . .
أعودُ بعد ستّينَ عاماً
لأبْحَثَ عن حبل مشيمتي ،
وعن الحلاّق الدمشقيّ الذي خَتَنَني ،
وعن القابلة التي رَمَتْنِي في طَسْتٍ تحت السريرْ
وقَبَضَتْ من أبي ليرةً ذهبيَّة
وخرجت من بيتنا . .
في ذلكَ اليوم من شهر آذار عام ١٩٢٣
ويَدَاها مُلَطَّخَتانِ بدم القصيدَهْ . . . .

٣

أدخُلُ دمشقَ . .

من جهة (باب البريدْ) .

حاملاً معي ،

عَشْرَةَ أطنانٍ من مكاتيب الهَوَى

كنتُ قد أرسلتُها في القرن الأوّلِ للهُجْرَة

ولكنَّها لم تصِلْ إلى عُنْوانِ الحبيبْ

أو فَرَمَها مِقصُّ الرقيبْ . .

لذلكَ . . قرَّرتُ أن أحملَ بريدي على كتِفِي

لعلَّ التي أحببتُها . .

وهي تلميذةٌ في المدرسة الثانويَّة

قبل خمسةَ عشرَ قرناً

لا تزال ترسُبُ في امتحاناتها

تضامناً مع ليلى العامريَّة
ومريمَ المجدليَّة
ورابعةَ العدويَّة
وكُلِّ المعذَّبات في الحُبِّ. . في هذا العالم الثالثْ.
أو لعلَّ الرقيبَ الذي كان يغتالُ رسائلي
قد نقلوهُ إلى مصلحة تسجيل السيَّارات
أو أدخلوه إلى مدرسةٍ لمحْوِ الأُميَّةْ
أو تزوَّجَ ممَّنْ كانَ يقرأ لها رسائلي
منتحلاً إسْمي . .
وإمضائي . .
وجُرْأةَ قصائدي . .

٤

أعودُ إلى الرَحِمِ الذي تشكّلتُ فيه..
وإلى الكتاب الأوّل الذي قرأتُ فيه..
وإلى المَرْأةِ الأولى التي علّمَتْني
جُغْرَافِيَّةَ الحُبْ..
وجُغْرَافيّةَ النساء..

أعودُ . .
بعدما تناثَرَتْ أجزائي في كُلِّ القارّاتْ
وتناثَرَ سُعَالي في كُلِّ الفَنادقْ
فَبَعْدَ شراشِفِ أمّي المعطَّرةِ بصابون الغَارْ
لم أجِدْ سريراً أنامُ عليه . .
وبَعْدَ عَرُوسة الزيت والزعْتَرْ . .
التي كانَتْ تلفُّها لي ،
لم تَعُدْ تُعجبني أيُّ عروسٍ في الدنيا . .
وبَعْدَ مُربَّى السَفَرْجَل الذي كانت تصنعه بيدَيْها
لم أعُدْ متحمساً لإفْطَار الصباحْ
وبعد شَرَاب التُوتِ الذي كانت تعصرُهُ
لم يَعُدْ يُسْكِرُني أيُّ نبيذْ . . .

٥

أدخُلُ صَحْنَ الجامع الأمويِّ
أُسَلِّمُ على كُلِّ من فيهْ
زاويةً . . زاويَهْ
بَلَاطةً . . بلاطَهْ
حَمامةً . . حمامَهْ
أتجوَّلُ في بساتين الخَطِّ الكُوفيِّ
وأقطُفُ أزهاراً جميلةً من كلام اللّهْ . . .
وأسْمَعُ بعينيَّ صوتَ الفُسَيْفُسَاءْ . .
وموسيقى مسابح العقيقْ . .
تأخذني حالةٌ من التجلِّي والإنْخِطَافْ،
فأصعدُ دَرَجاتِ أوَّلِ مئذنةٍ تُصَادِفُني
مُنَادِياً :
«حَيَّ على الياسَمينْ» .
«حَيَّ على الياسَمينْ» .

٦

عائدٌ إليكُمْ . .

وأنا مُضَرَّجٌ بأمطار حنيني

عائدٌ . . لأملأ جُيُوبِي

بالقَضَامَةِ، والجانَرِكْ، واللوز الأخضرْ

عائدٌ إلى مَحَارَتي .

عائدٌ إلى سرير ولادتي .

فلا نوافيرُ ڤرسَايْ
عوَّضتْني عن (مقهى النُوفَرَهْ) . .
ولا سُوقُ الهال في باريس
عوَّضَني عن (سوق الجُمْعَهْ) . .
ولا قصرُ باكِنْغهَامْ في لندنْ
عوَّضَني عن (قصر العَظْمْ) . .
ولا حمائم ساحة (سان ماركو) في فينيسيا
أكثرُ بَرَكةً من حَمَائم الجامع الأمويّْ
ولا قبرُ نابوليون في الأنفاليدْ
أكثرُ جلالاً من قبر صلاح الدين الأيُّوبي . .

قد يتَّهِمُني البعض . .
بأنني عدتُ إلى السباحة في بحار الرومانسيَّةْ
إنْني لا أرفُضُ التُهْمةْ .
فكما للأسماكِ مياهُهَا الإقليميّةْ
فإنَّ للقصائد أيضاً مياهَها الإقليميّةْ .
وأنا ـ كأيِّ سَمَكةٍ تكتُبُ شِعْراً ـ
لا أريدُ أن أموتَ اخْتِنَاقاً . . . .

٧

أتجوَّلُ في حارات دمشقَ الضَيِّقةْ .
تستيقظُ العيونُ العسليَّةُ ، خَلْفَ الشبابيكْ
وتُسَلِّمُ عَليّْ . .
تلبسُ النجومُ أساورَها الذَهبيَّةْ . .
وتُسَلِّمُ عليّْ . .
تحطُّ الحمائمُ من أبْرَاجِها . .
وتُسَلِّمُ عَليّْ . . .
تخرجُ لي القِطَطُ الشاميَّةُ النظيفَهْ
التي وُلِدَتْ مَعَنا . .
وراهقَتْ مَعَنا . .
وتزوَّجتْ مَعَنا . .
لتُسَلِّمَ عليّْ . . .

تَضَعُ قليلاً من المَاكْياج على وجْهِهَا . .
شأنَ كُلِّ النسَاءْ . .
تَصْنَعُ لي قَهْوَةً طَيِّبَهْ .
وتُعَرِّفُني على أولادِها . . وأصْهَارِها . . وأحفادِها . .
وتخبرني أنَّ أكبرَ أولادِها . .
سيتخرَّجُ هذا العامَ ، طبيباً من جامعة دمشقْ
وأن أصْغَرَ بَنَاتها تزوَّجتْ من أميرٍ عربيّ
وسافَرَتْ معهُ إلى الخليجْ . .
تكْرُجُ الدَمْعَةُ في عَيْني . .
وأَسْتَأذِنُ بالإنصرافْ . .
وأنا مُطْمَئِنٌّ على شَجَرة العائلَةْ
وَمُسْتَقْبَلِ السُلاَلاَتْ . . .

٨

أتَغَلْغَلُ في (سُوق البُزُوريَّةْ)
مُبْحِراً في سُحُب البَهَارْ
وغمائمِ القرنفُلِ . .
والقِرْفةِ . .
واليانَسُونْ . .
أتوضَّأُ بماء الورد مَرَّةً
وبماءِ العِشْقِ مَرَّاتْ . .
وأنْسَى ـ وأنا في سُوق العطَّارينْ
جميعَ مُسْتَحْضَرات (نينا ريتشي) . .
و (كُوكُو شانيلْ) . . .

ماذا تفعلُ بي دمشقْ؟
كيف تُغيِّرُ ثقافتي، وذوقي الجَماليّْ؟
فَيُنْسيني رنينُ طاساتِ (عِرْق السُوسْ)
كونْشِرتُو البيانُو لرحْمَا نينوفْ..
كيفَ تُغيِّرني بساتينُ الشامْ؟
فأصْبحُ أوَّلَ عازفٍ في الدُنيا
يَقُودُ أوركِسْترَا
من شَجَر الصَفْصَافْ!!

٩

جئتُكُمْ . .

من تاريخ الوردةِ الدمشقيّةْ

التي تختصرُ تاريخَ العطرْ . .

ومن ذاكرة المُتَنبِّي

التي تختصرُ تارِيخَ الشِّعرْ . .

جئتكُمْ . .

من أزهار النَارَنْجِ . .

والأضَاليا . .

والنَرْجِسِ . .

والشابِّ الظَريفْ . .

التي علَّمتْني أوَّلَ الرَّسمْ . . . .

جئتُكُمْ . .
من ضِحْكَة النساءِ الشاميَّاتْ
التي علَّمتْني أوَّلَ المُوسِيقَى . . .
وأوَّلَ المُرَاهَقَةْ . .
ومن مَزَاريبِ حَارَتِنا
التي علَّمَتْنِي أوَّلَ البُكَاءْ
ومن سُجَّادة صَلاَة أمّي
التي عَلَّمَتْني
أوَّلَ الطريق إلى اللَّهْ . . . .

١٠

أفْتَحُ جواريرَ الذاكِرَهْ
واحداً . . واحداً . .
أتذكَّرُ أبي . .
خارجاً من معمله في (زُقَاق معاويَهْ)
كأنَّهُ غَمَامةٌ من عطر الفانيليا . .
أتذكَّرُ عَرَبات الخيلْ . .
وبائعي الصَبَّارَةْ . .
ومقاهي (الرَبْوة)
التي تكادُ ـ بعد بَطْحَةِ العَرَقِ الخامِسَةْ ـ
أن تسقُطَ في النَهرْ . . .

أتذكَّرُ المَنَاشِفَ المُلوَّنَهْ
وهي ترقُصُ على باب (حَمَّام الخَيَّاطينْ)
كأنَّها تحتفل بعيدها القوميّْ.
أتذكَّرُ البيوتَ الدمشقيَّةْ
بمقابِضِ أبوابِها النحاسيَّةْ
وسُقُوفِها المُطرَّزَةِ بالقَيْشَاني
وباحَاتِها الجُوَّانيةْ
التي تُذَكِّرُكَ بأوصاف الجَنَّةْ....

١١

البيتُ الدِمَشْقِيّْ
خارجٌ على نصِّ الفَنِّ المعماريّْ.
هندسةُ البيوت عندنا..
تقومُ على أساسٍ عاطفيّْ
فكُلُّ بيتٍ.. يسنُدُ خاصرةَ البيت الآخَرْ
وكُلُّ شُرْفَةْ..
تَمُدُّ يَدَها للشُرْفَة المقابِلَهْ..
البيوتُ الدمشقيّةُ بيوتٌ عَاشِقَةْ...
فهيَ تُسَلِّمُ على بعضها صباحاً..
وتتبادلُ الزياراتِ..
- في السِرِّ - ليلاً....

١٢

عندما كنتُ دبلوماسيّاً في بريطانيا
قبلَ ثلاثينَ عاماً.
كانت أُمّي تُرسل لي في مطلع الربيعْ
في داخل كُلِّ رسالَةْ . .
حُزْمَةَ (طَرْخُونْ). . .

وعندما ارتابَ الإنجليزُ في رسائلي
أَخَذُوها إلى المُخْتَبَرْ. .
وَوَضعُوهَا تحت أشعَّةِ الليزِرْ
وأحالُوها إلى سكوتلاندليارد. .
وخُبَراء المتفجِّرات. .
وعندما تَعِبُوا منّي. . ومن (طَرْخُوني). .
سألوني: قُلْ لنا بحقِّ اللَّهْ. . .
ما اسْمُ هذه العُشْبَةِ السحريَّةِ التي دَوَّخَتْنَا؟.
هل هي تعويذة؟
أم هي دواءٌ؟
أم هيَ شفرةٌ سِريَّة؟
وماذا يقابلُها باللغة الإنجليزيَّة؟. . .

قلتُ لهُمْ : صعبٌ أن أشْرَحَ لَكُمْ الأمرْ . .
(فالطَرْخُونُ) لغةٌ تتكلَّمُها بساتينُ الشام فقطْ . .
وهو عُشْبَتُنا المُقَدَّسَةْ . .
وبلاغَتُنَا المُعَطَّرَةْ . .
ولو عرفَ شاعركُم العظيم شكسبير (الطَرْخُونْ)
لكانتْ مسرحيّاتُهُ أفْضَلْ . .
وباختصارْ . .
إنَّ أمّي امرأةٌ طَيّبةٌ جداً . . وتُحِبُّني جدّاً . .
وعندما كانت تشتاقُ لي . .
كانت تُرْسِلُ لي باقةَ (طرخُونْ) . .
(فالطَرْخُونُ) عندها ، هو المعادلُ العاطفيّ
لكلمة (يا حبيبي) . . .
أو لكلمة (تقبرْني) . .
وعندما لم يفهم الإنجليز حرفاً واحداً من مُرَافَعتي الشعريَّةْ . . .
أعادوا لي (طَرْخُوني) . . . . وأغلقُوا مَحْضَرَ التحقيقْ . . . .

١٣

عائدٌ إليكُمْ . .
من آخِرِ فضاءات الحُريَّةْ
وآخِرِ فَضَاءاتِ الجُنُونْ .
في قلبي . .
شيءٌ من أحزان أبي فراس الحَمَدانيّْ
وفي عينيَّ . .
قَبَسٌ من حرائق ديكِ الجِنِّ الحمصيّْ
مُشْكِلَتي . .
أن الشِعْرَ عندي هو بَرْقٌ لا عقلَ له .
وزلزالٌ . .
لا يستعملُ حاسبات (كاسيو) اليابانيَّهْ . .

رُبَّما ركبتُ حصانَ الشِّعْرْ . .
برُعُونةٍ . . ونَزَقْ . .
ولكنّني . . لم أُغَيِّرْ سُرُوجي
ولم أشتغِلْ سائساً بالأُجْرَهْ .
أو شاعراً بالأُجْرَهْ . .
صحيحٌ . . أنّي ربحتُ أكثرَ من سِبَاقْ
وحصلتُ على مداليَّاتٍ ذهبيَّةٍ كثيرَةْ
وصحيحٌ . . أنَّ الشَعْبَ العربيَّ . .
طوَّقني بأكاليل الغارْ . .

إلّا أنَّ أحْزَاني . .
كانَتْ دائماً طويلةً كسَنَابل القَمحْ . .
فلقد كُسِرَتْ ساقي ألفَ مَرَّهْ . .
وكُسِرَتْ رَقَبَتي ألفَ مرَّهْ . .
وكُسِرَ عَمُودي الفقريُّ ، مليونَ مَرَّهْ
وإذا كنتُ أقِفُ أمامكمْ على المِنْبَرْ
وأنا بكامل لِيَاقَتي الجَسَدِيَّةْ . .
فلأنَّني . .
أقِفُ على عظام كِبْرِيَائي . . . .

١٤

مِنْ (خان أسعد باشا)
يخرجُ أبو خليل القبّاني
بقُنْبازِهِ الدَامَسْكُو..
وعمامَتِهِ المُقَصَّبَهْ..
وعينيهِ المسْكُونتيْنِ بالأسئلَهْ..
كعَيْنَيْ (هامْلِتْ)...

يحاولُ أن يُقَدِّمَ مسرحاً طليعيَّاً
فيطالبونَهُ بخيمة قَرَه كُوزْ. .
يحاولُ أن يقدِّمَ نصَّاً من شكسبيرْ
فيسألونَهُ عن أخبار الزيرْ. . .
يحاولُ، أن يجدَ صوتاً نسائيَّاً واحداً
يغنّي مَعَهُ. .
(يا مَالْ الشامْ يا شامي). .
فيُخَرْطِشُونَ بواريدهُمْ العُثمانيَّةْ
ويُطْلِقُونَ النارَ على كلِّ شَجَرةِ وردْ. .
تَحْتَرِفُ الغِنَاءْ. . .

يحاولُ أن يجدَ امرأةً واحدَهْ. .
تردَّدُ وراءَهُ:
(يا طيرَهْ طيري يا حَمَامَهْ). .
فيستلُّونَ سكاكينَهُمْ
ويذبحون كُلَّ سُلَالات الحَمَامْ. .
وكُلَّ سُلَالات النساءْ. . .

بَعْدَ مئةِ عَامْ . . .
إعتذرَتْ دمشقُ لأبي خليل القبّاني
وشيَّدتْ مسرحاً جميلاً باسْمِهْ
وصارت أغنية (يا مالْ الشامْ، يا شامي)
نشيداً، رسميّاً مُقَرَّراً
على كُلِّ مدارس الإناثِ في سُوريَّهْ . . . .

١٥

ألبِسُ جُبَّةِ محي الدين بن عَرَبيّْ
وأهبطُ من قِمّة جَبَلِ قاسيونْ
حاملاً لأطفال المدينَهْ . .
خَوْخَـاً . .
ورُمَّانـاً . .
وحَلاَوةً سِمْسِمِيَّهْ . .
ولنسائِها . .
أطْوَاقَ الفيرُوزْ . .
وقصائدَ الحُبّْ . . .

أدْخُلُ . .
في نَفَقٍ طويلٍ من العصافيرْ . .
والمنثُورْ . .
والخُبَّيْزَهْ . .
والياسَمينِ العراتليّْ . .
أدْخُلُ في أسئلة العطرْ . .
تضيعُ منّي حقيبتي المدرسيَّةْ
والسَفَرْطاسُ النحاسيّْ
الذي كنتُ أحملُ فيه طعامي . .
والخَرَزَةُ الزَرْقاءْ . .
التي كانَتْ تُعلِّقُها أُمّي في صدري .

فيا أَهْلَ الشامْ . .
مَنْ وجدني منكُمْ . . فلْيَرُدَّني إلى (أُمِّ المُعْتَزّ)
وثوابُهُ عند اللّهْ . .
أنا عصفورُكُم الأَخْضَرُ . . يا أَهْلَ الشامْ
فَمَنْ وجدني منكُمْ . . فلْيُطْعِمْني حَبَّةَ قمحْ . .
أنا وَرْدتكُمُ الدمشقيَّةُ . . يا أَهْلَ الشامْ
فَمَنْ وجدني منكُمْ، فلْيَضَعْنِي في أوَّلِ مِزْهريَّهْ
أنا شاعرُكُمْ المجنُونُ . . يا أَهْلَ الشامْ
فمن رآني منكُمْ . . فَلْيَلْتَقِطْ لي صورةً تذكاريَّةْ
قبل أن أُشفَى من جُنُوني الجميلْ . .
أنا قَمَرُكُمُ المُشرَّدُ . . يا أَهْلَ الشامْ
فمن رآني منكُمْ . .
فليتبرَّعْ لي بِفِراشٍ . . وبَطانيَّةِ صُوفْ . .
لأنّني لم أَنَمْ منذُ قُرُونْ . . .

جنيف أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨

القصيدةُ الدمشقيَّة

هذي دِمَشْقُ وهذي الكأسُ والراحُ
إنِّي أُحِبُّ. . . وبعضُ الحُبِّ ذبّاحُ

أنا الدِمَشْقِيُّ. لو شَرَّحْتُمُ جَسَدِي
لسالَ منهُ. . عناقيدٌ، وتُفَّاحُ. .

ولو فتَحْتُمْ شَرَايـيني بِمِدْيَتِكُمْ
سَمِعْتُمُ في دمي أصواتَ من راحُوا. .

زِرَاعَةُ القلبِ، تُشْفي بعضَ من عَشِقُوا
وما لقلبي ـ إذا أحْبَبْتُ ـ جَرَّاحُ.

ألا تزالُ بخيرٍ، دارُ فاطمةٍ؟
فالنَهْدُ مُسْتَنْفَرٌ. . والكُحْلُ صَدَّاحُ.

إنَّ النبيذَ هُنا. . نارٌ معطَّرَةٌ
فهل عيونُ نساءِ الشامِ، أقْدَاحُ؟

مآذِنُ الشَامِ، تبكي إذْ تُعانِقُني
وللمآذِنِ، كالأشجار، أرواحْ.

للياسَمينِ، حقوقٌ في منازِلِنَا
وقِطَّةُ البيتِ تغفو. . حيثُ ترتاحُ

طاحُونَةِ البُنِّ، جُزْءٌ من طُفُولَتِنا
فكيف ننسى؟ وعِطْرُ الهَالِ، فَوَّاحُ

هذا مكانُ (أبي المُعْتَزِّ). . مُنْتَظِرٌ
وَوَجْهُ (فائزةٍ). . حُلْوٌ، ولَمَّاحُ.

هُنا جُذُوري. هنا قلبي. هُنَا لُغَتي
فكيفَ أوضِحُ؟ هل في العِشْقِ إيضاحُ؟

كم مِنْ دمشقيَّةٍ، بَاعَتْ أساورَها
حتى أُغَازِلَها. . والشِعْرُ مفتاحُ. . .

أتيتُ يا شَجَر الصَفْصَافِ، مُعْتذِراً
فَهَلْ تُسامِحُ هيفاءُ. . ووضّاحُ؟

خَمْسُونَ عاماً. . وأجزائي مُبَعْثَرةٌ
فوقَ المحيطِ، وما في الأُفْقِ، مِصْبَاحُ

تقاذَفَتْنِي بِحارٌ لا ضِفَافَ لها
وطاردتْني شياطينٌ . . وأشْبَاحُ
أُقَاتِلُ القُبْحَ في شعري، وفي أَدَبي
حتّى يُفتّحَ نَوّارٌ . . وقَدّاحُ . .

●

ما للعُرُوبَةِ تَبْدُو مثلَ أرْمَلةٍ
أليسَ في كُتُبِ التاريخِ ، أفْرَاحُ؟
والشِّعْرُ. ماذا سيبقى من أصالتِهِ؟
إذا تولاَّهُ نصَّابٌ . . ومَدَّاحُ .
وكيف نكتُبُ؟ والأقفالُ في فَمِنَا
وكُلُّ ثانيةٍ، يأتيكَ سفَّاحُ . .

●

حَمَلْتُ شِعْري على ظَهْري . . فأتْعَبَني
ماذا من الشِعْرِ يبقى ، حينَ يَرْتَاحُ؟

أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨

نُصوص حُرَّة

المرأة

المرأةُ هي الشِّعرْ. .
وليست ملحقةً به، أو مُضَافةً إليه، أو هامشاً
من هوامشه.
كلُّ شعرٍ كُتِبَ، أو يُكْتبُ، أو سوف يُكْتَبُ، مرتبطٌ
بالمرأةِ، كما يرتبطُ الطفِلُ بحَبْل المَشِيمَة. وأية محاولة
لفَكِّ الإرتباط بينهما. . تقتل الطفلَ والأُمَّ معاً. .
الشَّعرُ يجد في المرأة مُرْضِعتَه، وحاضِنَتَهُ، وأُنثـاه.
وبالتالي فهي تؤكِّدُ ذكورتَه، وفُحُولته.

والمـرأةُ تجدُ فيَ الشِّعر ، رجُلَها، وبـطلَها، وصـانعَ مجدها وأطفالها، وحامي أنوثتها من الذبـول، والتعفّن، والإنقراض.

لا يستطيعُ الشِّعْرُ أن يكبُر.. ويترعرعَ.. ويقف على قَدَميه دونَ امرأة..

ولا تستـطيـعُ المـرأةُ أن تُغـوي.. وتفتن.. وتلعب بـالعالم على أصـابعها.. إلاَّ إذا كـان الشعرُ رفيقهـا.. وحبيبها..

إذَنْ فالمرأةُ والشِّعْرُ يكملانِ بعضَهُما..

هي تُعـطيـه الإشتعـال، والتـوهّـج، والمـادَّة الأوليَـة للإبداع..

وهو يُجَمِّلُها.. ويُكَحِّلُها، ويُعَطِّرُها.. ويحفظهـا من التبدّد والاندثار.

آذار (مارس) ١٩٨٠

العطر

العـطرُ لغةٌ لهـا مفرداتُهـا، وحروفُهـا، وأبجديَّتُها، ككُلِّ اللغات.

والعطورُ أصنافٌ وأمــزجـة.

منها ما هو تمْتَمَةْ..

ومنها ما هو صلاة..

ومنها ما هُوَ غَزْوَةٌ بربريَّةْ...

وللعطر المتحضِّر روعتُهْ..

كما للعطر المتوحّش روعتُهُ أيضاً..

وهذا بالطبع يتوقَّفُ على الحالة النفسية التي نكون فيها، عندما نستقبل العطر. وعلى نوع المرأة التي تستعمل العطر.

والرجُلُ أيضاً، يلعبُ لعبتَه في تقييم العطر...

بمعنى أن أنْفَ الرجل مرتبطٌ بثقافته، وتجربته، ومستواه الحضاريّ.

هنا ك رِجالٌ يفضِّلونَ العطور التي تهمس..

ومنهم من يفضِّلُونَ العطورَ التي تصرخ..

ومنهم من يفضِّلون العطورَ التي تغتال....

ثم إنّ نوعيّةَ علاقتنا بالمرأة تلعب دورها في تحديـد نوع العطر الذي يُقنعنا . .

فعطرُ العشيقة شيء . .

وعطرُ الحبيبة شيءٌ آخر . .

وعطر الطالبة ذات السبع عشرة سنة شيء . .

وعطر السيّدة في الأربعين شيءٌ مختلف . .

وبالنسبة لي ، يتغيّر العطر الذي أُحِبّ ، بتغيّر حالتي النفسية . .

ففي بعض الأحيان أحبُّ العطر الذي يُشعل الحرائق . .

وفي بعض الأحيان ، أحبُّ العطر الذي نسيَ الكلام . . .

وفي بعض الأحيان ، أحِبُّ العطر الذي يدخُـلُ في حوار طويل معي . .

وفي بعض الأحيان أحِبُّ العطرَ المسالم . .

وفـي بعض الأحـيـان أحِـبُّ الـعــطر الـمـتـوحّش . . والعدوانيّْ . .

على أنّ خيـاري الأوَّل والأخير، في مسـألة العـطر، هو أنّني أُحِبّ المرأةَ ـ الغَمَامة التي تخرجُ من تحت الدُوش وهي لا تحمـل على جسـدهـا إلاَّ رائحـةَ الصـابـون.. وقطرات الماء...

بيروت ـ نيسان (ابريل) ١٩٧١

رثاءُ فراشة(*)

١

من أصعب الأشياء، أن يكتب الإنسانُ تاريخَ فَرَاشَة.
فتاريخُ الفراشات، يكونُ عادةً مكتوباً على أجْنِحَتِهَا
بالأخضر.. والأزرق.. والأحمر.. والبرتقاليّ..
ناديا تويني، هي فَرَاشَةٌ منقوشةٌ بالشِّعْر من رأسها حتى
قَدَميْها..
وأنا طولَ عمري، أحسبُ ألفَ حساب، قبل أن ألمسَ
جَنَاحَيْ فَرَاشَة، حتَّى لا يُهَرْهِرَ غبارُ القمر على
أصابعي....

(*) الكلمة التي ألقاها الشاعر في ذكرى رحيل الشاعرة اللبنانية ناديا تويني في متحف سرسق في بيروت في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤.

١

حين التقيتُ ناديا تويني لأوّل مرّة، تصوَّرتُ أنها طالعةٌ من كتاب. لم أصدِّق عيني.

فالنساءُ عادةً يطْلَعْنَ من (سوق الصاغة)، أو من معارض الأزياء، أو من صالونات التجميل...

يــطلعنَ من (شــارع الحمــراء).. أو من شــارع (فيــا فينيتــو).. أو من شارع (الفـوبـور سـانت أونـوريـه)..

ولكنهنَّ لا يطلعنَ - إلا نادراً - من غابات الكُتُب..

نــاديا تــويني، حين شاهــدتُها، كــانت جميلةً ككتاب.. ومُرصَّعةً بالحروف والكلمات، كجدار كنيسةٍ بيزنطيّة.

كانت مُعتَّقةً بالتاريخ.. ككأس نبيذ..

ومكتظَّةً بالعطايا كبيدر قمْح...

وكانت تتكحَّلُ، مرةً، بحزنها الخصوصيّ..

ومرةً، بحبر المطابعْ..

ومرةً، بأحزان لبنانْ....

٣

صعبٌ على شاعر أن يقترب من شعر ناديا تويني . .
فهي قَمَرٌ شعريّ . .
وكانت أمّي تُوصيني أن لا أقرأ على ضوء القَمَر . . .
حتّى لا أغـرقَ في هذه المَحْبَـرة المشْغُـولـةِ بـالحليبِ،
والعِشْقِ، وأسلاكِ الذَهَبْ . . .
الاقتراب من ناديا تويني صعبٌ . . كالاقتراب من حمامةٍ
مرسومة على سقف كنيسَةْ . .
كالاقتراب من ميعاد غَرَامْ . . .
كالاقتراب من حُوريَّة البحرْ . .
كالاقتراب من ليلة القَدْرْ . . .
كالاقتراب من رائحة اللّهْ . . .

٤

دَعَتْنِي منذُ سَنَوات إلى منزلها في (بيت مري).
دَعَاني القَمَرْ.
وحين انفَتَحَ الباب، واشْتَعَلَتْ ابتسامتُها،
كحقلٍ من أزهار القُطْن، تذكَّرتُ نصيحةَ أُمّي،
وخفتُ أن أقومَ بأيّة حركةٍ تجرحُ زُجَاجَ القَمَرْ. . .

٥

يا رَبِّي :

كيف تستطيعُ امْرأَةٌ أن تنعجنَ بالشِّعْر، وتَنْزَرعَ فيه، كما يَنْزَرِعُ الحَلَقُ الفضيُّ في آذانِ الإسبانيَّاتْ؟

كيف يختلطُ دَمُ القصيدة، بدم ناديا تويني! حتى إذا غرسْتَ دَبُّوساً في جسدها، لم تعرِفْ أيَّ دمٍ سال.. دمِ القصيدة.. أم دمِ ناديا تويني؟

كيف تخرُج ناديا من كُتُبها لتستقبلَ الناس، وتحادثَهم، وتلاطفَهم، ثم تعود في آخر الليل، لتنامَ في أجفان الحروف؟

كيف يتطابقُ الأصلُ والصورةُ في هذا الكيان الضوئيّ، فلا تجدُ خللاً ولا تنافُراً بين الصوت وبين الشفتين.. بين الورقة وبين الأصابع.. بينَ البَجَعةِ وبين ماء البحيرة؟....

ففي حين نرى ناديا تويني، تلبس ثوب الشعر، وتبدو للناس طبيعيةً كسنبلة القمح.. نجدُ عشرات الشعراء العرب يلبسون الثياب المستعارة إذا قابلوا الآخرين كأنّهم في حفلة كرنفال.. حتى إذا عادوا إلى بيوتهم، ونزعوا ملابسهم التنكريّة، تحوَّلوا إلى أبالسةٍ... وشياطين..

وإذا كان بعض الشعراء العرب، يشبهون شعرهم بنسبة ٣٠ بالمئة.. وبعضهم يشبهون شعرهم بنسبة ١٠ بالمئة. فإن بعض الشعراء لدينا، لا علاقةَ لهم إطلاقاً بما يكتبون...

٦

ثَمَّةَ اتفاقيّـة جنتلمان بين ناديا تويني . . وبين الموت .
كان يفتحُ البابَ عليها ، فإذا وجدها تكتبُ شعراً ، اختجل من نفسه ، وانسحب على أطراف أصابعه . . .
حتّى لكأنَّ الموت ، قاريءٌ للشعر ، من الطراز الأوّل .
كانتْ تُعطيه قصيدةً ، فيتخدَّر بإيقـاعاتهـا الجميلة ، وينامُ شهراً . . .
ثم يعود بعد شهرٍ ليجبي الضريبةَ من جديد . فتُسمعه ناديا آخرَ قصيـدةٍ كَتَبْتهـاَ . . فتسيـل دمـوعُـهُ على خـدّيه وينصرف . .

وهكذا، استطاعتْ ناديا تويني أن تُدجِّنَ الموتَ. . وتقلِّمَ أظافره. . وترشُوَه بكلماتها الجميلة على مدى عشرين عاماً.

الشعراءُ وحدَهُمْ، هُمُ القادرونَ على قَلْبِ مُخطَّطات الموت، ولَخْبَطةِ حساباته. .

وهُمُ القادرونَ بالشعر، على إلغاء موتهم. أو تأجِيلِهِ على الأقلّ. . .

فمن دانته، إلى شكسبير، إلى فاليري، إلى رامبو، إلى أراغون، إلى بابلو نيرودا، إلى المتنبّي، إلى أبي تمَّام، إلى أمين نخلة، إلى بشارة الخوري، إلى إلياس أبي شبكة، إلى ناديا تويني. . . كان الموتُ، يشعر بارتباكٍ حقيقيّ في حضرة هؤلاء. . وفي حضرة كلماتهم العظيمة. . . .

٧

كانت جميلةً كلبنان . .

صافيةً كينابيعه . .

عاليةً كأمواجه . .

طَمُوحَةً كمراكبه . .

وادعةً كرمال شواطئه . .

ومغسولةً بالوَجَع كأغانيه . . .

لم يكُنْ معقولاً أن يموتَ لبنان، وتبقى ناديا تويني.

ولا كان معقولاً أن يتوقَّفَ قلبُ ناديـا تويني عن النبض،

ولا يتوقَّف قلبُ لبنان . .

هناك كائناتٌ ترتبطُ دَوْرَتُها الدمويّة، بالدورة الدمويْـة لغروب الشمس مثلاً.

وهناكَ كائناتٌ، يرتبطُ جهازُها العصبيّ، بعريشة عنبٍ.. أو شجرة دِفْلَى.. أو بمحارةٍ على شاطيء البحر...

وهناكَ كائناتٌ تسافرُ بتوقيتٍ واحدٍ مع بعضها، كالنجوم، والأسماك، واللقالق، ورائحةِ زَهْر البُرْتُقَالْ....

ولأنَّ ناديا تويني كانتْ جزءاً من سَفَر العصافير، وسَفَـر المراكب، ورائحة النَعْنَاع، وبكاء الأمطار على قراميـد بيروتَ القديمة، فلقد قدَّمتْ كلُّ هذه الكائنات استقالتَها الجماعيّة إلى الله... لأنّها ـ بعد ناديا تويني ـ تشعر أنها عاطلة عن العمل...

بيروت، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤

عاصي الرحباني

١

عاصي الرحباني، هو آخرُ الأشياء الجميلة في حياتنا.
هو آخرُ قصيدة، قبلَ أن ندخُلَ في الأُميَّة.
وآخرُ حَبَّة قمحٍ، قبلَ أن ندخُلَ في زمن اليَبَاس.
وآخرُ قَمَرٍ، قبلَ أن تهاجمَنا العُتْمَة.
وآخرُ حمامةٍ تحطُّ على أكتافنا.. قبل زمن الخراب.
وآخرُ الماء قبل أن تشتعلَ الحرائقُ في ثيابنا.
وآخرُ الطفولة.. قبل أن تسرقَ الحربُ طفولَتَنا.

٢

به بدأ الحبُّ، وبه انْتَهَى.
وبه بدأ اللونُ الأخضرُ... وبه انْتَهَى.
وبه بدأ النبيذُ.. وبه انْتَهَى.
وبه صار بحرُ (أنطلياسْ)
أعظمَ من المحيط الأطلسي.

٣

هو أعطانا الضوءَ الأخْضَرَ . لِنُحِبَّ . .
فأحْبَبْنَا . . .
وهو الذي شجَّعَنا على أن نَذْهَبَ لمواعيدنا . . .
فَذَهَبْنَا . .
وهو الذي علَّمنا أن نكتُبَ على ضفائر حبيباتِنا . .
فَكَتَبْنَا . . .
وهو الذي غَطَّانا بشراشِفِ الحنان . .
فَنِمْنَا . . .

٤

على يَدَيْ عاصي ، تحوَّلَت الموسيقى من مُظَاهَرة
إلى لُغَةٍ صُوفيَّةْ . . .
وتحوَّلَ الحبُّ من غَزْوَةٍ بَرْبَريَّةٍ
إلى صَلاَةْ . .
وتحوَّلَ الشِّعْرُ من قَرْقَعةٍ لغويّة
إلى جُمْلَةٍ حضاريَّةْ . .
وتحوَّلنا نحنُ، من كائناتٍ ترابيَّةْ
إلى ضوءٍ مسموعْ . . .

٥

لم يكُنْ عاصي، حادثاً هامشيّاً في حياتِنا
كان جَبَلاً.. ومؤسّسةً.. وأكاديميةً..
وحادثةً كبرى من حوادث التاريخ...
ويومَ يكتبُونَ تاريخَ الشَجَرْ..
وتاريخَ الدِفْلَى والبَيْلَسَانْ
والقرميدِ الأحمر..
وتاريخ القرى اللبنانيّة التي جعلها عاصي الرحباني
أهمَّ من باريس، ونيويورك، وسان فرانسيسكو.
يَوْمَ يُعلِّمون، بعد ألفَ سنةٍ في مدارسنا، أسماءَ
الجبال في لبنان، فسيكون عاصي الرحباني أعلى
وأهمَّ جَبَلٍ في أطلس لبنان...

جنيف ١٩٨٧/٦/٨

هوامش على الهوامش

الكتاب السابع والعشرون

١٩٩١

هوامش

على دفتر النكسة

١٩٦٧

- ١ -

أنعي لكمْ ، يا أصدقائي ، اللغةَ القديمهْ . .
والكُتُبَ القديمَهْ . .
أنعي لكمْ
كلامَنا المثقوبَ كالأحذية القديمَهْ . .
ومُفْرداتِ العهر ، والهجاءِ ، والشتيمَهْ
أنعي لَكُمْ . .
أنعي لَكُمْ . .
نهايةَ الفكر الذي قاد إلى الهزيمَهْ . .

- ٢ -

مالِحةٌ في فمنا القصائدْ

مالِحةٌ ضفائرُ النساءْ

والليلُ ، والأَستارُ ، والمقاعدْ

مالِحةٌ أَمامنا الأَشياءْ

- ٣ -

يا وطني الحزينْ

حوَّلتَني بلحظةٍ . .

من شاعرٍ يكتبُ شعرَ الحُبِّ والحنينْ

لشاعرٍ يكتبُ بالسِكِّينْ . . .

- ٤ -

لأنَّ ما نُحِسُّهُ

أَكبرُ من أَوراقِنا . .

لا بُدَّ أَن نخجلَ من أَشعارِنَا . .

- ٥ -

إذا خسرنا الحربَ . . لا غرابَهْ

لأَننا ندخلُها

بكلِّ ما يملكه الشرقيُّ من مواهب الخطابَهْ

بالعنتَريَّاتِ التي ما قتلتْ ذُبابَهْ

لأَننا ندخلها . .

بمنطقِ الطَبْلةِ والربابَهْ . .

- ٦ -

السرُّ في مأْساتِنا . .

صراخُنا أَضخمُ من أُصواتِنا . .

وسيفُنَا أُطولُ من قاماتِنا . .

- ٧ -

خلاصةُ القضيَّةْ
توجزُ في عبارَهْ
لقد لبسنا قِشْرةَ الحضارهْ
والروحُ جاهليَّهْ . .

ـ ٨ ـ

بالناي والمزمارْ
لا يَحْدثُ انتصارْ . .

- ٩ -

كلَّفنَا ارتحالُنا

خمسينَ أَلفَ خيمةٍ جديدَهْ

- ١٠ -

لا تلعنوا السَماءْ

إذا تخلَّتْ عنكُمُ . . لا تلعنوا الظروفْ

فاللَّهُ يؤتي النصرَ من يشاءْ

وليس حَدَّاداً لديكُمْ يصنعُ السيوفْ

- ١١ -

يوجعُني أنْ أسمعَ الأنباءَ في الصباحْ

يوجعُني ..

أنْ أسمعَ النباحْ ..

- ١٢ -

ما دخل اليهودُ من حدودِنا . .

وإنَّمـا . .

تسرَّبوا كالنمل . . من عُيوبِنَا . .

- ١٣ -

خمسةُ آلافِ سنَهْ
ونحنُ في السردابْ . .
ذقونُنا طويلةٌ . .
نقودُنا مجْهولةٌ . .
عيونُنا موانئُ الذبابْ
يا أَصْدقائي
جرِّبوا أَن تكسِروا الأَبوابْ . .
أَن تغسلوا أَفكاركمْ ، وتغسلوا الأَثوابْ . .

يا أصدقائي . .

جرِّبوا أن تقرأوا كتابْ . .

أَن تكتبوا كتابْ . .

أَن تزرَعوا الحروفَ ، والرُمَّانَ ، والأَعنابْ

أَن تُبْحروا إلى بلادِ الثلجِ والضبابْ

فالناسُ يجهلونكمْ . .

في خارج السردابْ . .

الناسُ يحسبونكمْ

نوعاً من الذئابْ . .

- ١٤ -

جلودُنا ميِّتةُ الإحساسْ

أرواحُنا تشكو من الإفلاسْ

أيامُنا . . تدورُ بين الزار ، والشطْرَنْج ، والنُعَاسْ

هل (نحنُ خيرُ أُمَّةٍ قد أُخرجتْ للناسْ ؟)

- ١٥ -

كانَ بوسع نفطنا الدافقِ في الصَحَاري
أَن يستحيلَ خنجراً من لهبٍ ونارِ ...
لكنَّهُ ،
واخَجْلةَ الأَشرافِ من قريشٍ
وَخجْلةَ الأَحرار من أَوسٍ ومن نزارِ
يُراقُ تحت أَرجلِ الجواري . .

- ١٦ -

نركُضُ في الشوارعِ

نحملُ تحت إبطِنا الحبالا

نمارسُ السَحْلَ . . بلا تبصُّرٍ

نحطِّمُ الزجاجَ والأقفالا . .

نمدحُ كالضفادعِ

نشتُمُ كالضفادعِ

نجعلُ من أقزامنا أبطالا . .

نجعلُ من أشرافِنا أنذالا . .

نرتجلُ البطولةَ ارتجالا

نقعدُ في الجوامِعِ
تنابلاً . . كُسالى
نُشطِّرُ الأَبياتَ . . أو نؤلِّفُ الأَمثالا . .
ونشحذُ النصرَ على عدوِّنا
من عنده تعالى . . .

- ١٧ -

لو أحدٌ يمنحني الأَمانْ
لو كنتُ أَستطيعُ أَن أقابل السلطانْ
قلتُ له : يا سيِّدي السلطانْ
كلابُكَ المفترساتُ مزَّقت ردائي . .
ومُخْبروكَ دائماً ورائي
عيونهُمْ ورائي . .
أنوفُهُمْ ورائي . .
أَقدامُهُمْ ورائي . .
كالقَدَر المحتومِ ، كالقضاءِ . .
يستجوبونَ زوجتي . .
ويكتبونَ عندهمْ أَسماءَ أَصدقائي . .

يا حضرةَ السلطانْ
لأنني اقتربتُ من أسوارِكَ الصمَّاءِ
لأنني . .
حاولتُ أن أكشفَ عن حزني وعن بلائي
ضُربتُ بالحذاءِ . .
أرغمني جندُكَ أن آكُلَ من حذائي . .
يا سيِّدي . .
يا سيِّدي السلطانْ . .
لقد خسرتَ الحربَ مرَّتينْ
لأن نصفَ شعبنا
ليس له لسانْ . .

ما قيمةُ الشعب الذي
ليس له لسانْ ؟
لأَن نصفَ شعبنا
محاصرٌ كالنمل والجُرْذانْ
في داخل الجدرانْ . .
لو أَحدٌ يمنحُني الأَمانْ
من عسكر السلطانْ
قلتُ له :
لقد خسرتَ الحربَ مرَّتينْ
لأَنك انفصلتَ عن قضية الإنسانْ . .

- ١٨ -

لو أننا لم ندفنِ الوَحْدَةَ في الترابْ
لو لم نمزِّقْ جسمَها الطريَّ بالحرابْ
لو بقيتْ في داخل العيون والأهدابْ
لما استباحتْ لحمَنا الكلابْ . . .

- ١٩ -

نريدُ جيلاً غاضبا
نريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقْ
وينكشُ التاريخَ من جذورهِ
وينكشُ الفكرَ من الأعماقْ
نريدُ جيلاً قادماً مختلفَ الملامحْ
لا يغفر الأخطاءَ . لا يسامحْ
لا ينحني . لا يعرفُ النفاقْ
نريدُ جيلاً . . رائداً . . عملاقْ

- ٢٠ -

يا أيُّها الأطفالْ
من المحيط للخليج ، أَنتُمُ سنابلُ الآمالْ
وأَنتُمُ الجيلُ الذي سيكسر الأغلالْ
ويقتلُ الأفيونَ في رؤوسنا . .
ويقتل الخيالْ . .
يا أيُّها الأطفالُ ، أنتمْ، بعدُ، طيِّبونْ
وطاهرونَ، كالندى والثلج ، طاهرونْ
لا تقرأوا عن جيلنا المهزومِ يا أَطفالْ
فنحنُ خائبونْ . .
ونحنُ ، مثلَ قِشْرة البطيخ ، تافهونْ

ونحنُ، منخورونَ . . منخورونَ كالنعالْ . .
لا تقرأوا أخبارَنا
لا تقتفوا آثارَنا
لا تقبلوا أفكارَنا
فنحنُ جيلُ القيءِ، والزُهريِّ، والسُعالْ
ونحنُ جيلُ الدجْل، والرقص على الحبالْ
يا أيُّها الأطفالْ
يا مطرَ الربيع، يا سنابلَ الآمالْ
أنتمْ بذورُ الخصْب في حياتنا العقيمَهْ
وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزم الهزيمَهْ

هوامِشُ

على دفترِ الهزيمة

١٩٩١

- ١ -

لا حَرْبُنَا حَرْبٌ، ولا سَلامُنا سَلامْ
جميعُ ما يَمُرُّ في حياتِنا
ليس سوى أفْلَامْ . . .
زَوَاجُنا مُرْتَجَلٌ .
وحُبُّنَا مُرْتَجَلُ .
كما يكونُ الحُبُّ في بداية الأَفْلَامْ .
وموتُنا مُقَرَّرٌ .
كما يكونُ الموتُ في نهاية الأفْلَامْ.

- ٢ -

لم ننتصِرْ يوماً على ذُبَابَةٍ
لكنَّها . . تجارةُ الأوْهَامْ .
فخالدٌ، وطارقٌ، وحَمْزَةٌ،
وعُقْبَةُ بنُ نافعٍ ،
والزيرُ، والقَعْقَاعُ، والصَمْصَامْ .
مُكَدَّسونَ كُلُّهمْ . .
في عُلَبِ الأفْلامْ . .

- ٣ -

هزيمةٌ . .

وراءَها هزيمةٌ . .

وراءَها هزيمةٌ . .

كيف لنا أن نربحَ الحربَ

إذا كان الذينَ مَثَّلُوا . .

وصوَّرُوا . .

وأخرجُوا . .

تعلَّموا القتالَ في وزارة الإعلامْ؟؟

- ٤ -

في كُلِّ عشرينَ سَنَهْ . .
يأتي إلينا رجُلٌ مُسلَّحُ
ليذْبَحَ الوَحْدَةَ في سريرِها
ويُجْهضَ الأحلامْ .

- ٥ -

في كُلِّ عشرينَ سَنَهْ . .
يأتي إلينا حَاكمٌ بأمْرِهِ
ليحبِسَ السماءَ في قَارُورةٍ
ويأخذَ الشَمْسَ إلى مِنصَّة الإعْدَامْ .

- ٦ -

في كُلِّ عشرينَ سَنَهْ

يأتي إلينا نَرْجسِيٌّ عاشقٌ لذاتِهِ

ليدَّعي بأنه المَهْديُّ ، والمنْقِذُ ،

والنقيُّ ، والتقيُّ ، والقويُّ ،

والواحدُ ، والخالدُ ،

والحكيمُ ، والعليمُ ، والقِدِّيسُ ،

والإمَـامْ . . .

- ٧ -

في كُلِّ عشرينَ سَنَهْ
يأتي إلينا رجُلٌ مُقامِرٌ
ليرهُنَ البلادَ، والعبادَ، والتُراثَ،
والشُرُوقَ، والغُرُوبَ،
والأشجارَ، والثمارَ،
والذُكورَ، والإناثَ،
والأمواجَ، والبحرَ،
على طاولةِ القِمَارْ. .

- ٨ -

في كُلِّ عشرينَ سَنَهْ
يأتي إلينا رجُلٌ مُعَقَّدٌ
يحملُ في جُيُوبِهِ [illegible]

- ٩ -

ليس جديداً خوفُنا
فالخوفُ كانَ دائماً صديقَنا
منّ يوم كُنّا نُطْفةً
في داخل الأرْحَامْ.

- ١٠ -

هل النظامُ، في الأساس، قاتلٌ؟
أم نحنُ مسؤولونَ
عن صنَاعةِ النظامْ ؟

- ١١ -

إنْ رضيَ الكاتبُ أنْ يكونَ مرَّة
دَجاجَةً . .
تُعاشِرُ الدُيُوكَ . . أو تبيضُ . . أو تَنَامْ . .
فاقْرَأْ على الكتابة السَلاَمْ . . .

- ١٢ -

لِلأُدَبَاء عندنا نقَابَةٌ رَسْمِيَّةٌ

تُشْبِهُ في تشكيلها

نقابةَ الأغْنَامْ . . .

- ١٣ -

ثَمَّ مُلُوكٌ أكَلُوا نساءَهُمْ

في سالفِ الأيّامْ

لكنَّما الملوكُ في بلادنا

تعوّدُوا أن يأكلوا الأقْلاَمْ . . .

- ١٤ -

مَاتَ ابنُ خلدونَ الذي نعرفُهُ

وأصبحَ التاريخُ في أعماقنا

إشارةَ استِفْهَامْ !!

- ١٥ -

هُمْ يقطَعُونَ النَخْلَ في بلادنا
ليزْرَعُوا مكانَه . .
للسيّد الرئيسِ ، غَابَاتٍ من الأصنامْ !

- ١٦ -

لم يطْلُبِ الخالقُ من عبادِهِ
أن ينحتوا يوماً لهُ
مليونَ تمثالٍ من الرَّخَامْ ! !

- ١٧ -

تَقَاطعتْ في لحمنا خناجرُ العُرُوبَهْ

واشْتَبَكَ الإسلامُ بالإسلامْ . . .

- ١٨ -

بعدَ أسابيعَ من الإِبْحَار في مراكبِ الكلامْ
لم يَبْقَ من قَامُوسنا الحربيِّ
إلَّا الجِلْدُ والعِظَامْ . .

- ١٩ -

طائرةُ (الفَانْتُوم) . .
تَنْقَضُّ على رؤوسِنَا
ونحن نَسْتَقوي بزُنَّار (أبي تمَّامْ)!

- ٢٠ -

الحَرْبُ . .
لا تربحُها وظائفُ الإِنْشَاءْ .
ولا التشابيهُ . . ولا النُعُوتُ . . والأسمَاءْ
مَقْتَلُنا يكمُنُ في لسانِنَا
فكم دَفَعْنَا غالياً ضريبةَ الكلاَمْ . . .

- ٢١ -

من الذي يُنْقذُنا من حالة الفِصَامْ؟
من الذي يُقْنعُنا بأننا لم نَنْهَزِمْ؟
ونحنُ كُلَّ ليلةٍ. .
نرى على الشَّاشَاتِ جيشاً جائعاً. . وعارياً. .
يَشْحذُ من خَنَادق الأعداء (سَانْدَوِيشَةً)
وينحني. . كي يلْثُمَ الأقْدَامْ!!

- ٢٢ -

قد دَخَلَ القائدُ - بعد نَصْرِهِ -
لغُرْفة الحَمَّامْ . .
ونحن قد دخلنا
لمَلْجأ الأيْتَامْ ! ! . .

- ٢٣ -

نموتُ مجَّاناً . . كما الذُّبَابُ في إفْريقيا
نموتُ كالذُبَابْ .
ويدخُلُ الموتُ علينا ضاحكاً
ويُقْفِلُ الأبوابْ .
نموتُ بالجُمْلة في فراشِنا
ويرفضُ المسؤولُ عن ثلاَّجة الموتى
بأن يُفصِّل الأسبابْ .
نموتُ . . في حرب الإشَاعَاتِ . .
وفي حرب الإذاعاتِ . .

وفي حرب التشابيهِ . .

وفي حربِ الكِنَاياتِ . .

وفي خديعة السَّرَابْ .

نمُوتُ . . مَقْهورينَ ، مَنْبُوذينَ ، ملْعُونينَ . .

مَنْسيِّينَ كالكلابْ . .

والقائدُ الساديُّ في مَخْبئِه

يُفَلْسِفُ الخَرَابْ . . .

- ٢٤ -

مُضْحِكَةٌ مُبْكِيةٌ.
معركةُ الخليجْ.
فلا النِّصَالُ انكسَرَتْ فيها على النِّصَالْ.
ولا الرجالُ نَازَلوا الرجالْ.
ولا رأينا مرَّةً..
آشُورَ بانيبالْ
فكُلُّ ما تبقّى.. لمُتْحَفِ التاريخِ.
أهْرَامٌ من النِّعَالْ!!.

- ٢٥ -

فِي كُلِّ عِشْرِينَ سَنَهْ .
يجيئُنا مِهْيَارْ .
يحملُ في يمينه الشَمْسَ ،
وفي شماله النَّهارْ .
ويرسُمُ الجنَّاتِ في خيالنا
ويُنْزِل الأمطارْ .
وفجأةً . .
يحْتَلُّ جيشُ الرُوم كبرياءَنا
وتسقُطُ الأسوارْ ! ! .

- ٢٦ -

فِي كُلِّ عِشْرِينَ سَنَهْ .
يأتي امرُؤُ القَيْس على حصانِهِ
يبحثُ عن مُلْكٍ من الغُبَارْ . . .

- ٢٧ -

أصواتُنا مَكْتُومَةٌ .
شفاهُنا مَخْتُومَةٌ .
شُعُوبُنا ليست سوى أصْفَارْ . . .
إنَّ الجُنُونَ وحدَهُ ،
يصنعُ في بلادنا القَرَارْ . . .

- ٢٨ -

نكذِبُ في قراءة التاريخْ .
نكذبُ في قراءة الأخبارْ.
ونقلِبُ الهزيمةَ الكُبْرى
إلى انتصارْ!! .

- ٢٩ -

يا وَطَني الغارقَ في دمائِهِ
يا أيُّها المَطْعُونُ في إبائِهِ
مدينةً مدينةً . .
نافذةً نافذةً . .
غَمَامةً غَمَامةً . .
حَمَامةً حَمَامةً . .
مِئْذنةً مِئْذنةً . .
أخافُ أن أُقْرِئَكَ السَّلَامْ . .

- ٣٠ -

يُسافرُ الخِنْجرُ في عُرُوبتي

يسافرُ الخِنْجرُ في رُجُولتي

هل هذه هزيمةٌ قُطْرِيَّةٌ؟

أم هذه هزيمةٌ قوميّةٌ؟

أم هذه هزيمتي؟؟

الـديــكْ

١

فِي حارتِنَا
ديكٌ ساديٌّ ، سفَّاحْ .
يَنْتُفُ ريشَ دَجَاج الحَارَةِ كلَّ صَبَاحْ .
يَنْقُرُهُنَّ . .
يُطارِدُهُنَّ . .
يُضاجِعُهنَّ . .
ويهجُرُهُنَّ . .
ولا يتذكَّرُ أسماءَ الصيصَانْ . .

٢

في حَارَتِنا
ديكٌ يصرخُ عند الفَجْرِ
كشَمْشُونِ الجبَّارْ .
يُطْلِقِ لحيتَهُ الحمراءَ ،
ويَقْمَعُنا ليلاً ونَهَارْ .
يَخطُبُ فينا . .
يُنْشِدُ فينا . .
يَزْني فينا . .
فَهُوَ الواحدُ ، وهو الخالِدُ ،
وهو المُقْتَدِرُ الجبَّارْ .

٣

فِي حارتِنَا
ثمَّةَ ديكٌ عُدْوَانيٌّ ،
فَاشِيسْتيٌّ ،
نازيُّ الأفكارْ .
سَرَق السُلْطَةَ بالدبَّابَةِ . .
ألقى القبضَ على الحريّةِ والأحرارْ .
ألغى وَطَناً .
ألغى شعباً .
ألغى لُغَةً .
ألغى أحداثَ التارِيخِ . .
وألغى ميلادَ الأطفالِ . .
وألغى أسماءَ الأزهارْ . .

٤

في حَارَتنا
ديكٌ يلبسُ في العيد القوميِّ
لباسَ الجِنْرَالاتْ . .
يأكُلُ جِنْسَاً . .
يشربُ جِنْساً . .
يَسْكَرُ جِنْساً . .
يركُبُ سُفُنَاً من أجْسَادٍ . .
يهزُمُ جَيْشَاً من حَلَمَاتْ . . .

٥

في حَارَتِنا
ديكٌ من أَصْلٍ عَرَبيٍّ
فَتَحَ الكونَ بألآفِ الزوجَاتْ ! !

٦

في حارتنا
ثمَّةَ ديكٌ أُمِيٌّ
يرأسُ إحدى الميليشْيَاتْ
لم يتعلَّمْ إلا الغَزْوَ . .
وإلّا الفَتْكَ . .
وإلّا زَرْعَ حشيشِ الكيْفِ . .
وتزويرَ العُمْلاتْ . .
كانَ يبيعُ ثيابَ أبيهِ . .
ويرهُنُ خاتمَهُ الزوجيَّ . .
ويسرُقُ حتَّى أسنانَ الأمواتْ . .

٧

في حارتنا
ديكٌ . كلُّ مواهبِهِ
أن يُطْلِقَ نارَ مُسَدَّسِهِ الحربيِّ
على رأسِ الكَلِمَاتْ . . .

٨

في حارتنا
ديكٌ عَصَبيٌّ مجنُونْ
يخطُبُ يوماً كالحجَّاجِ . .
ويمشي زَهْوَاً كالمأمُونْ .
يصرخُ من مِئْذَنة الجامِعِ :
« يا سُبْحَاني . يا سُبْحَاني . »
« فأنا الدولةُ ، والقَانُونْ » . . .

٩

كيف سيأتي الغَيْثُ إلينَا ؟
كيف سينمُو القَمْحُ ؟
وكيفَ يفيضُ علينا الخَيْرُ . .
وَتَغْمُرُنا البَرَكَةْ ؟
هذا وَطَنٌ لا يحكمُهُ اللَّهُ . .
ولكنْ تحكمُهُ الدِيكَةْ . . .

١٠

في بَلْدتِنا
يذهبُ ديكٌ .
يأتي ديكٌ .
والطُغْيَانُ هو الطُغْيَانْ .
يسقُطُ حُكْمٌ لينينيٌّ . .
يهجُمُ حُكْمٌ أَمْرِيكيٌّ . .
والمسحُوقُ هو الإنْسَانْ . . .

١١

حين يمرُّ الديكُ بسُوقِ القَرْيةِ
مَزْهُواً ، مَنْفُوشَ الريشْ
وعلى كَتِفَيْهِ تُضيءُ نياشينُ التحريرْ
يصرخُ كلُّ دَجَاجِ القريةِ في إعجابْ :
« يا سيِّدَنَا الديكْ . .
« يا مَوْلَانا الديكْ . .
« يا جِنِرَالَ الجِنْسِ . . ويا فَحْلَ الميدانْ . .
« أنتَ حبيبُ ملايين النِسْوانْ . .
« هل تحتاجُ إلى جاريةٍ ؟
« هل تحتاجُ إلى خادمةٍ ؟
« هل تحتاجُ إلى تدليكْ ؟ . . » .

١٢

حينَ الحاكمُ سمعَ القِصَّةَ ،
أصدرَ أمْرَاً للسَّيافِ بذَبْح الديكْ .
قالَ بصوتٍ غاضِبْ :
« كيفَ تجرَّأَ ديكٌ من أولاد الحارةِ
« أن ينتزعَ السُلْطةَ منّي . .
« كيف تجرَّأَ هذا الديكْ ؟؟
« وأنا الحاكمُ دونَ شريكْ ! ! » .

لندن ١٩٩٢

من يوميَّات شِقَّةٍ مفروشة

١

هذي البلادُ ، شِقَّةٌ مفروشَةٌ
يملكُها شَخْصٌ يُسمَّى عَنْتَرَهْ .
يسكرُ طُولَ الليل عند بابها
ويَجْمَعُ الإيجارَ من سُكَّانِها
ويطلُبُ الزَوَاجَ من نِسْوَانِها
ويُطْلِقُ النارَ على الأشجارِ ، والأطفالِ ،
والعُيُونِ ، والأثْدَاءِ . .
والضفائرِ المُعطَّرَهْ . . .

٢

هذي البلادُ كلُّها ..
مَزْرعةٌ شخصيَّةٌ لعَنْتَرهْ .
سَمَاؤها .
هَواؤها .
نساؤها .
حُقُولُها المُخْضَوْضِرَهْ ..

٣

كُلُّ البنَايَاتِ هُنَا
يسكُنُ فيها عَنْتَرَهْ .
كلُّ الشَبَابيكِ . .
عليها صُورَةٌ لَعنْتَرَهْ .
كلُّ المَيَادين هُنا
تحمِلُ إسْمَ عَنْتَرهْ . . .

٤

عَنْتَرةُ يُقيمُ في ثيابنا .
في رَبْطَة الخُبْزِ . .
وفي زُجَاجَة الكُولاَ . .
وفي أحلامنا المُحْتَضَرهْ .
في عَربَات الخَسِّ ، والبطّيخِ ،
في البَاصَاتِ ،
في محطَّة القطارِ ،
في جَمَاركِ المَطَارِ ،
في طَوَابع البريدِ ،
في ملاعب « الفُوتبولِ » ،
في مطاعم (البيتْزَا) . .
وفي كُلِّ فئات العُمْلة المزوَّرَهْ . . .

٥

مدينةٌ مَهْجُورةٌ .. مُهَجَّرهْ ..
لم يبقَ فيها فَأْرةٌ ، أو نَمْلةٌ ..
أو جَدْوَلٌ ، أو شَجَرهْ ..
لا شيءَ فيها يُدْهشُ السيَّاحَ
إلّا الصورةُ الرسميَّةُ المُقرَّرَهْ
للجِنِرَالِ عَنْتَرهْ .
في غرفة الجُلُوسِ ،
في الحمَّامِ ،
في المِرْحاضِ ،
في ميلاده السعيدِ ،
في خِتَانِهِ المجيدِ ،
في قُصُوره الشامخَةِ ..
الباذخَةِ .. المُسَوَّرَهْ ...

٦

ما مِنْ جديدٍ
في حياة هذه المدينة ـ المُسْتَعَمرهْ .
فحزنُنَا مُكرَّرٌ .
ونكَهْةُ القَهْوَةِ في شِفَاهِنَا
مُكرَّرَهْ . .

فمنذُ أن وُلِدْنَا
ونحنُ مَحْبُوسُونَ
في زُجَاجَة الثقافةِ المُدوَّرَهْ . .
واللُّغَةِ المدوَّرَهْ . .
ومُذْ دخلنا المدرسَهْ
ونحنُ لا ندرسُ إلّا سيرةً ذاتيةً واحدةً
تخبرُنا عن عَضَلاتِ عَنْتَرَهْ . . .
ومَكْرُمَاتِ عَنْتَرَهْ . .
ومُعْجِزَاتِ عَنْتَرَهْ . .
ولا نرى ، في كُلِّ دورالسينَما
إلاَّ شريطاً عربياً مُضْجِراً
يَلْعبُ فيه عَنْتَرَهْ !!

٧

لا شيءَ في إذاعة الصباح نهتمُّ بهِ .
فالخبرُ الأوَّلُ فيها
خَبَرٌ عن عَنْتَرهْ .
والخَبَرُ الأخيرُ فيها
خَبَرٌ عن عَنْتَرهْ .
لا شيءَ في البرنامج الثاني سوى
عَزْفٍ على القانونِ
من مؤلَّفَات عَنْتَرهْ .
وباقةٍ من أردأ الشِعْرِ . .
بصوت عنترَهْ . .
ولَوْحَةٍ زيتيَّةٍ
من خَرْبَشَاتِ عَنْ ةْ . . .

٨

هذي بلادٌ
يمنحُ الكُتَّابُ فيها صوتَهُمْ
لسَيِّدِ المثقّفينَ عَنْتَرَهْ .
يُجمِّلُونَ قُبْحَهُ .
يُؤرِّخُونَ عَصْرَهُ .
وينشُرُونَ فِكْرَهُ .
ويَقْرَعُونَ الطَبْلَ
في حُرُوبِهِ المُظفَّرهْ . . .

٩

لا نَجْمَ فوق شَاشَةِ التِلْفازِ
إلَّا عَنْتَرَهْ .
بقَدِّهِ الميَّاسِ . .
أو ضِحْكَتِهِ المُعَبِّرَهْ .
يوماً ، بزيِّ الدُوقِ والأميرْ .
يوماً ، بزيِّ الكادحِ الفقيرْ .
يوماً ، بزيِّ الواحدِ القديرْ .
يوماً ، على دبَّابةٍ رُوسِيَّةٍ . .
يوماً ، على مُجَنْزَرَهْ . .
يوماً ، على أضْلاَعِنَا المُكسَّرَهْ .

١٠

لا أَحَدٌ . .
يجرُؤُ أن يقولَ (لا) . .
للجنرال عَنْتَرَهْ .
لا أحدٌ . .
يجرُؤُ أن يسألَ أهلَ العلمِ في المدينَهْ
هل وُجِدَ الخالقُ قَبْلَ عَنْتَرهْ ؟
أم وُجِدَ الخالقُ بعدَ عَنْتَرَهْ ؟
إنَّ الخيارات هُنا محدوُدَةٌ
بين دُخُول السجنِ . .
أو بينَ دُخُول المقبَرَهْ . . .

١١

لا شيءَ . .
في مدينة المليونِ تَابُوتٍ . .
سوى تلاوةِ القُرآنِ . .
والسُرَادقِ الكبيرِ . .
والجنائزِ المنْتَظِرَهْ .
لا شيءَ . .
إلا رجُلٌ يبيعُ في حقيبةٍ
تذاكرَ الدُخُول للقَبْرِ . .
يُسمَّى عَنْتَرَهْ . .

١٢

عَنْتَرَةُ العَبْسيُّ
لا يتركُنا دقيقةً واحدةً
فمرةً ، يأكُلُ من طَعَامِنا .
ومرةً ، يشربُ من شرابنا .
ومرةً ، يَنْدَسُّ في فراشِنا
ومرةً ، يزورُنَا مُسلَّحاً
ليقْبضَ الإيجارَ . .
عن بلادنا المُسْتَأجَرَهْ . .

١٣

هل مُمْكنٌ ؟
هل مُمْكنٌ ؟
أن يستقيلَ اللّهُ من سَمَائِهِ
وأن تموتَ الشمسُ ،
والنجومُ ،
والبحارُ ،
والغاباتُ ،
والرسُولُ والملائكَهْ . .
ولا يموتُ عَنْتَرَهْ ؟؟

لندن ١٩٩٠

تاريخُنا ليس سوى إشَاعَهْ !

١

من أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
ولونُنا المُفَضَّلُ السَوَادْ .
نُفُوسُنا سَوَادْ .
عُقُولُنا سَوَادْ .
داخِلُنا سَوَادْ .
حتّى البياضُ عندنا
يَميلُ للسَوَادْ . .

٢

مِنْ أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
وكُلُّ ما يحدثُ في حياتنا
مَسَلْسَلُ اسْتِبْدَادْ .
الوَطَنُ اسْتِبدَادْ .
والهُجْرةُ اسْتِبدَادْ .
والصُحُفُ الرسميَّةُ اسْتِبْدَادْ .
والشُرْطَةُ السريَّةُ اسْتِبدَادْ .
والزوجةُ اسْتِبْدَادْ . . .
وعِشْقُنا لامرأةٍ جميلةٍ جدّاً
هُوَ اسْتِبْدَادْ ! !

٣

من أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
وكلُّ طفلٍ عندنا
تجري على ثيابهِ دماءُ كَرْبَلاءْ . .
والفِكْرُ في بلادنا أرْخَصُ من حِذَاءْ
وغايةُ الدنيا لدينا :
الجِنْسُ . . والنِسَاءْ . . .

٤

من أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
ونحنُ ، من يوم تخاصَمْنَا
على النِسْوانِ في غَرْناطَة
تَفَككَّتْ أُمَّتُنا .
وهَرْهَرَتْ دَوْلَتُنا .
وطارتِ البلادْ . .

٥

الشَجَرُ الأطولُ في بلادي
شَجَرُ الأحْقَادْ !! . .

٦

يُدْهِشُني . .
بأنَّ كُلَّ امرأةٍ في وَطَني
تلبِسُ في زِفَافِها
ملابسَ الحِدادْ . . .

٧

ليسَ لدينا أُمَّةٌ خالدةٌ .
أو دولةٌ واحدةٌ .
وإنَّما أفرادْ . . .

٨

هل هذه جرائدُ نقرؤُها ؟
أم أنَّها جَنَازةٌ
ودَعْوَةٌ للحُزْنِ والحِدَادْ ؟؟

٩

نُصُوصُنا مَنْقُولةٌ .
أصواتُنا ،
تخرجُ من حَناجرِ الأجدادْ . .

١٠

أكرهُ (ألفَ ليلةٍ)
وأكرهُ النومَ كمَجْذُوبٍ
على ذِرَاعِ شَهْرَزَادْ .

١١

من أين يأتينا الفَرحْ ؟
أطفالُنا ما شاهدوا في عُمْرِهمْ
قَوْسَ قُزَحْ . . .

١٢

من أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
ونحنُ من يوم خرجنا من فلسطينَ
ومن ذاكرة اللّيمُونِ ، والخَوْخِ ،
تحوَّلنا إلى رَمَادْ . .

١٣

ونحنُ من يوم تَرَكْنَا
بَحْرَ بيروتَ . .
تَرَكْنَا خلْفَنا
أثداءَ أمَّهاتِنا .
وورْدَ ذكرياتِنا .
وبيتَ حُريَّاتِنا .
كما تركنَا خَلْفَنا
شَهادَةَ الميلادْ . . .

١٤

لقد أكلنا بعضنا بَعْضاً
فهل تعذُرُنا
الأسْمَاكُ والجَرادْ ؟

١٥

حتّى ثيابُ اللَّهِ في بلادنا
تُبَاعُ بالمَزَادْ !! . .

١٦

من أينَ يأتينا الفَرَحْ ؟
ما طار طيرٌ عندنا . .
إلّا انْذَبَحْ . .
ولا نبيٌّ جَاءَنا
إلَّا بأيدينا انْذَبَحْ . .
ولا أتانا مُصْلِحٌ ، أو مُبْدِعٌ
أو كاتبٌ ، أو شاعرٌ
إلَّا على وِسَادَة الشِعْرِ . .
انْذَبَحْ . . .

١٧

مُحَرَّمٌ في وَطَني
تَنَقُّلُ الهَوَاءْ . . .
مُحَرَّمٌ . .
تَنَقُّلُ الكُحْلة فوقَ أعْيُنِ النِسَاءْ . .
مُحَرَّمٌ تَنَقُّلُ القصيدَهْ . .
مُحَرَّمٌ . .
تَنَقُّلُ الأفْعَالِ ، والأسْمَاءْ . . .

١٨

يَرْتَعِبُ الحُكَّامْ
في العالِمِ الثالثِ ،
من صوت العَصَافيرِ . .
ومن ضَوْءِ الأزاهيرِ . .
ومن زَقْزَقَة الحَمَامْ .
ويُدْخِلونَ البحرَ للسجْنِ . .
إذا أسْرَفَ في الكلامْ . .

صَعْبٌ على الحُكَّامِ
في عالمنا الثالثِ
أنْ يُصَالحوا الفِكْرَ . .
وأن يصادقوا الأقلامْ .
هل يستطيعُ الذِئْبُ
أن يُصادِقَ الأغْنَامْ ؟؟

١٩

فِي سالفِ الزمانِ كُنَّا
أُمَرَاءَ الشِعْرِ . .
والبَيَانِ . . والبديع . . والخِطَابَهْ . .
وأصبحتْ مهنتُنا الآنَ . .
بأن نَفْتَرِسَ الكتابَهْ !!

٢٠

أوَّلُ قَصْرٍ
من قُصُورِ العِلْمِ والثَقَافَهْ . .
أسَّسَهُ الخليفةُ المأمُونْ .
وجاءَ حُكَّامٌ إلى بلادنا من بَعْدِهِ . .
تَخصَّصُوا في مِهْنَة القَتْلِ . .
وفي هَنْدَسةِ السُجُونْ !!

٢١

فِي زَمَنِ الطُفُولَهْ
قَرَأْتُ آلافَ الأقاصيصِ
عن النَخْوَةِ . .
والنَجْدَةِ . .
والعِزَّةِ . .
والإباءِ ، والفِدَاءِ ،
والسَخَاءِ ، والشَجَاعَهْ . .
ثُمَّ اكتشفتُ عندما دخلتُ في الكُهُولَهْ . .
بأنَّ نِصْفَ ما قرأتُهُ
في حِصَّة التاريخِ ،
ما كانَ سوى إشاعَهْ !!

البحثُ عنِ سيّدةٍ
إسْمُها « الشُورى »

١

سَيِّدتي الشُورَى :
ما أحوالُكِ ؟
ما عُنْوانُكِ ؟
ما صندوقُ بريدكِ ؟
هل يمكنني أن ألقاكِ لخَمْسِ دقائقَ
يا سَيِّدتي الشُورَى ؟ . .

فتَّشْنا عنكِ طويلاً
بين الماءِ . . وبينَ الماءِ . .
وبين الرملِ . . وبين الرملِ . .
وبينَ القَتْلِ . . وبين القَتْلِ . .
وبينَ قُرَيْشٍ . . وقُرَيْشٍ . .
فوجدنَا أنقاضَ خُيولٍ
ووجدنا أجزاءَ سُيُوفٍ
ووجدنا أشباهَ رجالٍ
ووجدنا جيشاً مَذْحُورا . . .

٢

سَيِّدتي . .
سَيِّدتي الشُورَى :
فتَّشْنا عنكِ بأقْسَام البُوليسِ ،
وقائمةِ السُجَناءِ ،
وطابُور الغُرَباءِ ،
وفي غُرَفِ الإنْعَاشِ ،
وثلاَّجَاتِ الموتى . .

فتّشْنا . .
حتّى في أمْعَاء الحاكمِ . .
عن سيّدةٍ فُقِدَتْ منذ القَرن الأوَّلِ منَّا ،
تُدْعَى الشُورىٰ .
فَوَجدنا رأساً مقطُوعاً . .
ووجدنا جَسَداً مُغْتَصَباً . .
ووجدنا نَهْدَاً مَبْتُورا . . .

٣

من يومِ وُلِدْنَا
نسمعُ عن حُكْم الشُورَى .
وبأنَّ الشَعْبَ شريكٌ في التفكيرِ . .
وفي التدبيرِ . .
وفي التنظيرِ . .
كما تقضي أنظمةُ الشُورَى
لكنّا . . لم نُسأَلْ أَبَداً
إنْ كُنّا في الأَصْل إناثاً
أو كنّا في الأصْلِ ذُكُورَا . . .
أو كُنَّا بَشَراً . . أو كُنَّا
قِطَطاً . . وكلاباً . . وطُيُورا . .

أو كُنَّا نأكُلُ فاكهةً
أو نأكُلُ تِبْنَاً . . وشعيرا . .
وبقينا في رسم الإيجارْ
تحلبُنا الدولةُ كالأبقارْ
لا نعرفُ مَنْ يَسْتأجِرُنا .
لا نعرفُ من هو مالِكُنَا .
لا نعرفُ مَنْ في اليوم التالي يَرْكبُنَا . .
وبقينا نسألُ أنْفُسَنا
هل هي شُورَبَةٌ . .
أمْ شُورَى ؟؟

٥

لو أنتَ دخلتَ على فِرْعَونٍ
في عُزْلتهِ الأَبَديَّهْ
ستشاهِدُ فوقَ عَبَاءتِهِ
قَطَراتِ دماءٍ بَشَريَّهْ .
وتُشاهدُ فوقَ وسادتِهِ
امْرأَةً دونَ ذراعَيْها . .
وقصائدَ دونَ ذراعَيْهَا . .
وخَوَاتمَ ذَهَبٍ مَرْميَّهْ . .
وتُشاهِدُ تحتَ أظافرِهِ
قطَعاً من لَحْمِ الحُرَّيهْ . .

٦

من يوم وُلِدْنَا
نسمعُ عن حُكْمِ الشُورَى
لكنَّ الحاكمَ في الشرق الأوسَطْ
قد بالَ على عَقْلِ الإنسانِ . .
وبالَ على رأي الإنسانِ . .
وبالَ على حُكْم الشُورى . .
واحترفَ الرَقْصَ على أجساد الشَعْبِ
وشيَّدَ للظُلْمِ قُصُورا . .
ورمانا في آتون الحَرْبِ
وأحْرَقَ أمماً وعُصُورا . .

فأفَقْنَا في ذاتِ صباحٍ
لنرى أنفُسَنَا مكتوبينَ بقائمة الموتىٰ .
ونرى الراياتِ مُمزَّقةً .
ونرى الجُدرانَ مُهَدَّمةً .
ونرى الأجْسَادَ مُفَحَّمةً .
ونرى أكفاناً وقُبُورا .
وأفَقْنَا في ذاتِ صباحٍ
لنُلَمْلِمَ وطناً مكْسُورا . .
وعرفنا ـ بَعْدَ سُقُوطِ البَصْرةِ ـ
ما مَعْنىٰ الشُورَى !!

٧

ما زلنا منذ طُفُولتنا
نتفاءلُ باللَّون الكاكيِّ
ونفرحُ بالعُقَدَاءِ . .
وبالنَجْماتِ على الأكتَافِ . .
وبالخُوذَاتِ . .
وبالجَزْماتِ . .
وبالأزرارْ . .

ما زلنَا . .
ـ منذُ بدأنا نقرأُ ـ
نتلُو قرآنَ الثُوَّارْ . .
ونُغَطّي دبَّاباتِ الجيشِ الظافِرِ
بالقُبُلاتِ . . وبالصَلَواتِ . .
وبالأزهارْ .
ونُحدِّدُ يومَ ولادتِنَا
بمجيء الضُبَّاط الأحرارْ . .

٨

لا لُغَةٌ . .
تجمعُ بين الحاكم والمحكُوم لدَيْنَا
إلاَّ لغةُ البَلْطَة والمِنْشَارْ . .
لا خَيْطٌ يجمعُ بينهُمَا
إلاَّ ما يجمعُ
بين القِطِّ . . وبينَ الفَارْ . .

٩

. . . وأتانا الضُبَّاطُ الأحرارْ .
وبدأنا ننسى ضوءَ الشَمْسِ ،
وصَوْتَ البحرِ ،
وألوانَ الأشجارْ . .
وبدأنا نسقُطُ تحت نعالِ الخَيْلِ ،
ونُصْلبُ في غُرَف التعذيبِ ،
ونُشْوَى في أفْرَان النارْ . .
وبدأنا نأخُذُ
شكلَ الإنسانِ ـ الصَرْصَارْ .
وبدأنا نسألُ أنفسَنا :
أهنالكَ ربٌّ يسمعُنا خَلْفَ الأسوَارْ ؟؟

١٠

يتكسَّرُ وطني
مثلَ قواريرِ الفَخَّارْ .
تَنْقَرِضُ الأُمَّةُ بين الماءِ وبين الماءِ . .
تهاجرُ أسماكُ وبحارْ .
تَنْهَارُ بناياتُ التاريخِ جداراً بعد جدارْ . .
وأنا أتأمَّلُ ما تعرضهُ الشاشةُ
من أخبار العارْ . .
ومُذيعُ الدولةِ ، يُعْلنُ دونَ حَياءٍ ،
« أنَّا قد حقَّقنا النَصْرَ . .
بفَضْلِ نضَالِ الحِزْبِ . .
وفَضْلِ الضُبَّاطِ الأحرارْ » !!

لندن ١٩٩١

إلى أينَ يذهبُ مَوْتَى الوطَنْ؟

١

نَمُوتُ مُصَادَفةً . .
ككلابِ الطريقْ .
ونجهلُ أسماءَ من يَصْنَعُونَ القَرَارْ .
نموتُ . . .
ولسنا نُنَاقشُ كيف نموتُ ؟
وأينَ نموتُ ؟
فيوماً نموتُ بسيفِ اليمينْ .
ويوماً نموتُ بسَيْفِ اليَسَارْ . .

نموتُ من القَهْرِ
حَرْباً وسِلْماً . .
ولا نتذكَّرُ أوجُهَ من قَتلُونا
ولا نتذكَّرُ أسْمَاءَ من شَيَّعُونا
فلا فرقَ ـ في لَحْظَة الموتِ ـ
بين المَجُوسِ . .
وبين التَتَارْ . . .

٢

بلادٌ . .
تُجيدُ كتابةَ شِعْرِ المراثي
وتمتدُّ بينَ البُكاءِ . . وبين البُكاءْ
بلادٌ . .
جميعُ مدائنها كَرْبَلاءْ . . .

٣

بلادٌ . .
بِكَعْبِ الحذَاءِ تُدارْ . .
فلا من حكيمٍ . .
ولا من نبيٍّ . .
ولا من كتابْ .
بلادٌ . .
بها الشعبُ يأخذُ شَكْلَ الذُبَابْ ! !

٤

بلادٌ . .
يُديرُ المُسدَّسُ فيها شُؤونَ الحوارْ
بلادٌ يُسيِّجُها الخوفُ ،
حيثُ العُروبةُ تغدُو عقاباً . .
وحيثُ الدَعَارةُ تصبح طُهْراً
وحيثُ الهزيمةُ تغدو انتصارْ . . .

٥

مبادىءُ . . بالرطل مَطْرُوحةٌ
على عَرَباتِ الخُضَارْ . .
دَسَاتيرُ . .
تكفلُ حريَّةَ الرأيِ . . تُعْرَضُ كالفِجْلِ
في عَرَبات الخُضَارْ .
قصائدُ . . ليسَ عليها إزَارْ
تُضاجِعُ في الليلِ كلَّ خليفَهْ . .
وتُرْضي جميعَ جُنُود الخليفَهْ . .
وتُرمىٰ صباحاً كأيّة جيفَهْ
على عَرَبات الخُضَارْ . .

٦

بلادٌ . . بدون بلادْ
فأينَ مكانُ القصيدَةِ
بينِ الحصارِ ، وبين الحصارْ ؟
كأنَّ الكتابةَ في مُدُن الملْحِ
فِعْلُ انتحارْ . .

٧

بلادٌ . .
تُحاولُ أشجارُها
من اليأسِ ،
أن تتوسَّلَ تأشيرةً للسَفَرْ . .

٨

بلادٌ . .
تخافُ على نَفْسِها من قصيدة شعرٍ . .
ومن قَمَرِ الليل ،
حين يمشِّطُ شعرَ المَسَاءْ .
وتخشى على أَمْنِها
من بريد الهوى . .
وعُيُونِ النساءْ . .

٩

أُفَتّشُ عن وطنٍ لا يَجيءُ . .
وأسكُنُ في لغةٍ
ليس فيها جِدَارْ . . .

١٠

بلادٌ . .
تُعِدُّ حقائبَها للرحيلْ
وليس هناكَ رصيفٌ
وليسَ هناكَ قِطارْ. . .

١١

إلى أينَ يذهبُ مَوْتَى الوطَنْ ؟
وكلُّ العقارات فيهِ
مخصَّصةٌ لاسْتِضَافة مَنْ يحرسُونَ الرئيسْ . . .
ومن يدلكونَ بزيت البَنَفْسَجِ صدرَ الرئيسْ . .
وظَهْرَ الرئيسْ . .
وبَطْنَ الرئيسْ . .
ومن يحملونَ إليه كؤوسَ اللَّبنْ . .
إلى أينَ يذهبُ ؟
من سَقَطُوا في حُرُوب الرئيسْ ؟
وما عندهم شِقّةٌ للسَكَنْ !!

١٢

ولو موتُنا . .
كانَ من أجل أمْرٍ عظيمْ
لكنَّا ذهبنا إلى موتنا ضاحكينْ .
ولو موتُنا كانَ من أجل وقْفة عزٍّ
وتحريرِ أرضٍ . .
وتحريرِ شَعْبٍ . .
سبقنا الجميعَ إلى جنَّة المؤمنينْ
ولكنَّهمْ . . قرّروا أن نموتَ . .
ليبقى النِظَامْ . .
وأعمامُ هذا النظامْ . .
وأخوالُ هذا النظامْ . .
وتبقى تماثيلُ مصنوعةٌ من عجينْ !!

١٣

يموتُ الملايينُ منّا
ولا تتحرَّكُ في رأس قائدنا
شَعْرَةٌ واحدَهْ . .
ولم أكُ أعرفُ أن الطُغَاةْ
يضيقُونَ بالآلة الحاسِبَهْ . .

١٤

أُحاولُ بالشِعْرِ . .
أن أستعيدَ مَرَايا النهارْ .
وعُشْبَ الحقولِ ،
وضوءَ النجومِ ،
ولونَ البحارْ .
وأستَنْبِتَ القمحَ من تحت هذا الدَمَارْ .

١٥

أُحاولُ بالشِعْرِ . .
إنهاءَ عصر التَخَلُّفِ ،
حتّى أؤسِّسَ عصراً جديداً
من الوَرْد والجُلَّنارْ .

١٦

أُحاولُ بالشِعْرِ . .
تفجيرَ عَصْرٍ
وتغييرَ كَوْنٍ . .
وإشْعَالَ نارْ . .

١٧

بحثتُ طويلاً عن المُتَنبِّي
فلمْ أرَ من عِزَّة النَفْسِ
إلَّا الغُبارْ . .
بحثتُ عن الكبرياء طويلاً
ولكنني لم أُشاهِدْ
بعَصْر المماليكِ
إلَّا الصِغَارَ . . الصِغَارْ . . .

لندن ١٩٩١

الكتابةُ بالحِبْر السريّ

١

هُمْ يكتُبُونَ . . كأنَّهمْ لا يكتُبُونْ .
ويُعاصِرُونَ سُقُوطَ تاريخٍ . .
وهُمْ مثلَ الدَجَاج مُجلَّدُونْ . .
ويُسافرونَ . .
بغير أقدامٍ ، على أوراقهِمْ
ويُضاجِعُونَ نساءَهم ليلاً
وهُمْ مُتنكّرُونْ . .

٢

وطنٌ تَناثَرَ كالغُبَار أمامَهُمْ
وهُمُ على أطلاله يتنَزَّهُونْ . .
هُمْ خائفُونَ . .
على أناقَتِهمْ . .
وقَصَّةِ شَعْرِهِمْ . .
وعلى نَشَاءِ قميصهِمْ . .
هُمْ خائفُونْ .

٣

الشاربُونَ النفْطَ . .
حتى يُبْدِعُوا . .
مِنْ بَعْدِ زيتِ الكازِ . .
ماذا يشربُونْ ؟
هل هؤلاءِ طليعةٌ ثوريَّةٌ
أم باعةٌ مُتجّولُونْ ؟؟

٤

البائعونَ ثقافةً مغْشُوشَةً
والكاتبونَ قصائداً سريَّةً
والراقدونَ بغرفةِ الإنْعَاشِ . .
لا يتحرَّكونْ . .
والسائحُونَ على ضِفَاف جِراحِنا
ماذا سيفعلُ هؤلاءِ السائحونْ ؟

فمِنَ المقاهي . .
يُعْلنُونَ حُرُوبَهُمْ .
ومن المقاهي . .
يُطْلِقُونَ رصَاصَهُمْ
وعلى كراسيها الوثيرةِ
يحضنُونَ بُيُوضَهُمْ . .
ويُفرِّخُونْ . .
ما أجْبَنَ الثَوْرَاتِ
تخرُجُ من كُؤُوسِ اليانَسُونْ ! !

٥

ماذا يريدُ الأنبياءُ الكاذبُونْ ؟
الثائرونَ على دفاترهمْ
وهُمْ عند النظامِ .. موظَّفُونْ .
والشاهرُونَ سيوفَ أحْرفُهِم
وهُمْ مُتَقاعِدُونْ ..
والحاملونَ طُبولَهُمْ .. ودُفُوفَهُمْ ..
فبكلِّ عُرْسٍ سُلْطَويٍّ
يدبكُون .. ويرقُصُونْ ..
ولكلِّ طاغيةٍ ..
يُضيئونَ الشموعَ ..
ويسجدُونَ ..
ويركعُونْ ...

٦

ماذا يريد الهاربُونَ
من الشهامةِ ، والرُجُولةِ ،
ما يريدُ الهاربُونْ ؟
الجالسونَ أمامَ شُطآنِ الخليجِ
يُدخِّنُونْ . .
ماذا يريدُ النَرْجسيُّونَ
الذين بحُسْنهم يتغزَّلُونْ ؟
وبشِعْرهِمْ يتغزَّلُونْ . .
وبنثرهمْ يتغزَّلونْ . .

٧

الرائدونَ . .
وليسَ ثمَّ ريَادَةٌ . . أو رائدُونْ . .
والجالسونَ أمامَ أبواب الجوامعِ . .
والكنائسِ . .
والتكايا . .
يَشْحَذُونْ .

٨

ماذا يريدُ اللاعبونَ على اللُّغَاتِ
الشاطرونَ . .
الماكرُونْ ؟
الشاهدونَ على جريمة شنْقِنَا
ماذا تراهُمْ يشهدُونْ ؟
والساكتُونَ على اغتصاب نسائِنَا . .
في أيِّ يومٍ يغضَبُونْ ؟
في آبَ ؟ في أيلُولَ ؟ في تشرينَ ؟
في يوم القيامةِ ـ رُبَّما ـ
هُمْ يغضَبُونْ !! .

٩

لا شيءَ . .
في العصر البيزنطيِّ الجديدِ يَهزُّهُمْ . .
لا شيءَ . .
في عصر المماليكِ الجديدِ يَهزُّهُمْ . .
لا شيءَ . .
في عصر (المارينز) يُثيرُهُمْ
كي يصرخُوا . .
أو يرفُضُوا . .
أو يبصُقُوا . .
أو يعلنوا رأياً . .
فهُمْ موتىٰ
وماذا قد يقولُ الميِّتُونْ ؟

١٠

مَنْ هؤلاءِ السادةُ المُسْتَشْرِقُونْ ؟
ولأيٍّ شعبٍ ؟.
أيِّ أرضٍ ؟
أيِّ دينٍ ؟
أيِّ ربٍّ ينتمُونْ ؟
ما مسَّهُمْ حَرٌّ ، ولا قَرٌّ ،
ولا قَلَقٌ ، ولا أَرَقٌ ،
ولا حُزْنٌ . .
ولا مَنْ يَحْزَنُونْ . .

يتكلَّمونَ .. بألف موضوعٍ
ولا يتكلّمونْ ..
ويحرّكُونَ شفاهَهُمْ
لكنَّهُمْ لا ينطقُونْ ..
ويشاهدونَ جنازةَ الوطنِ القتيلِ أمامَهُمْ
تمشي ..
فلا يترحَّمُونْ ..

١١

مَنْ هؤلاءِ الطارئونَ على مَشَاكلِ عَصْرِنا ؟
مَنْ هؤلاءِ الطارئُونْ ؟
هُمْ يزعمُونَ بأنَّهُمْ سيغيِّرونَ خريطةَ الدنيا . .
وهم مُتَخلّفونْ . .
وبأنّهمْ سيُحرّرونَ الفِكْرَ والإنسانَ في كَلِمَاتِهِمْ
وهُمُ على كُلِّ الموائد يخدُمُونْ . .
وبأنّهمْ عَرَبٌ غطاريفٌ
وهُمْ مُسْتعرِبُونْ . .

١٢

مَنْ هؤلاءِ
الخائفُونَ على طراوة جِلْدِهمْ ؟
وعلى تناسُقِ خَصْرِهمْ
وعلى أُنوثة صوتِهمْ
مَنْ هؤلاء المُتْرَفُونْ ؟
هل هؤلاءِ طليعةٌ ثوريَّةٌ ؟
أم بَاعَةٌ متجوِّلُونْ ؟؟

لندن ١٩٩٠

الفهارس

الكتاب الرابع والعشرون

قصائد مغضوب عليها

الكتاب الخامس والعشرون

تزوجتك أيتها الحرية

الكتاب السادس والعشرون

الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق..

الكتاب السابع والعشرون

هوامش على الهوامش

منشورات نزار قباني
ص . ب ٦٢٥٠
بيروت